الباب الرابع
الحياة الثقافية فى الدلتا

الفصل الأول: مراكز العلم والحياة فيها
الفصل الثانى : العلوم الدينية والدراسات الأدبية

الفصل الأول
مراكز العلم والحياة فيها
عوامل ازدهار الحركة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى

بعد العصر الفاطمى من أزهى عصور مصر الاسلامية من الناحية العلمية فقد بلغت الحياة العلمية فى مصر آنذاك ، درجة كبيرة من النمو والازدهار لكثرة العلماء الذين كانوا فى مصر أو وفدوا عليها ونشطت حركة العلم والأدب والفن والعلوم العقلية والفلسفية فى مصر والشام. [1]

ولقد حرص الخليفة المعز لدين الله منذ إقامته فى مصر على نشر المذهب الفاطمى بين المصريين، واتخذ من دعاة الفاطميين وسيلة لنشر هذا المذهب. [2]

واتخذ المعز لدين الله وابنه العزيز من بعده الجامع الأزهر مكانا رئيسيا لاقامة الخطبة[3]، كما شجع الفقهاء على عقد حلقات الدراسة لتدريس المذهب الشيعى ونشر العلوم، كما اهتم الخليفة العزيز بالجامع الأزهر، فأمر بأفراد الجرايات، وتخصيص الأروقة بين طلاب العلم وتحول هذا الجامع إلى جامعة علمية. [4]

ومن مظاهر ازدهار الحياة الثقافية فى العصر الفاطمى تشجيع الخلفاء الفاطميين للعلوم واهتمام الخليفة الحاكم بأمر الله بالعلوم الرياضية فعندما سمع عن نبوغ ابن الهيثم البصرى فى الهندسة والرياضيات استدعاه إلى مصر[5]، وتجلى أثر ابن الهيثم فى نشر الثقافة وازدهارها بعد وفاة الحاكم عام 411هـ/1020-1021م فأقام بجوار الجامع الأزهر وعمل بنسخ الكتب فى علوم الفلك والرياضيات وغيرها من العلوم الطبيعية، وأخذ يؤلف الكثير من المؤلفات والتى كان من أهمها كتابه الشهير "المناظر فى الفيزياء" الذى ظل مرجعا للدارسين والباحثين على مدى قرون طويلة. [6]

ويحدثنا ابن أبى أصيبعة أنه عندما وصل الطبيب المذهب ابن النقاش إلى الشام من بغداد وأقام بها مدة ولم يحصل على ما يكفيه فعلم بتشجيع خلفاء الدولة الفاطمية بمصر

([1])احمد أمين: ظهر الاسلام، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 188.
([2])حسن ابراهيم حسن وآخرين: المعز لدين الله ، ص 290.
([3])المقريزى : الخطط، جـ1، ص 353.
([4])المقريزى : الخطط، جـ1، ص 273.
([5])ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول، ص 316- 318.
([6])ابن ابى اصيبعة : عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص 551- 552.

للعلماء واكرامهم واحسانهم إلى من يقصدهم اتصل بالقاضى الأجل السديد أبى منصور عبد الله بن الشيخ السديد ابى الحسن على فوهب له الأموال وأقام فى مصر مكرما. [1]

ومما يدل على تشجيع الخلفاء الفاطميين للحركة العلمية الوافدة من خارج مصر أنه عندما قدم إلى مصر القاضى عبد الوهاب بن على أحد فقهاء المالكية المجتهدين فى المذهب بضيق حالة ببغداد أكرمه المصريون بالرغم من مخالفته لهم فى المذهب وتوفى بمصر سنة 422هـ/ 1030-1031م. [2]

وكذلك نذكر محاولة الخليفة المستنصر مع أبى العلاء المعرى فى سبيل الحضور إلى القاهرة وبذل ما فى بيت المال له بمغرة النعمان ، لكنه لم يقبل منه شيئا واعتذر عن ذلك. [3]

وكان الخلفاء الفاطميون يحترمون العلماء على الرغم من مخالفتهم لهم فى المذهب فكان الطاهر بن عوف أحد تلامذه الطرطوشى على مذهب مالك وكان فريد عصره يقول ابن فرحون[4] ، عنه " وعليه مدار الفتوى" فكان يحظى بالتشجيع من جانب الخلافة فأنشئت له مدرسة بثغر الاسكندرية فى عهد الخليفة الحافظ. [5]

وكذلك كان الحافظ السلفى نزيل الاسكندرية يتمتع بمكانة سامية لا تقل عن مكانة الطاهر بن عوف. [6]

كما تسامح الفاطميون مع أهل الذمة، مما أدى إلى ظهور طائفة كبيرة منهم من الأطباء والعلماء فى عهدهم برعوا فى كافة فنون العلم. [7]

أولا: مراكز العلم:

(1)الكتاتيب :

من أهم وأسبق أنواع المعاهد التعليمية، وجودا فى العالم الاسلامى وقد اشتق اسمه من تعليم الكتابة، وأصبح يطلق على المكان الذى يتعلم فيه الصبيان القرآن والقراءة والكتابة. [8]

([1])ابن أبى اصيبعة : عيون الأبناء، ص 636.
([2])البغدادى: تاريخ بغداد، الجزء الحادى عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 31.
([3])ياقوت : معجم الأدباء ، جـ3، ص 142.
([4])الديباج المذهب فى معرفة اعيان المذهب، القاهرة 1329هـ، ص 95 .
([5])ابن ميسر : أخباء مصر، جـ2، ص 13 ، هامش (2)
([6])الحوزى : سوءلات الحافظ السلفى، تحقيق مطاع الطرابيشى، مطبعة الحجاز، دمشق، 1976م، ص 9.
([7])قاسم عبده قاسم : اهل الذمة فى مصر، ص 51.
([8])احمد شلبى : التربية الاسلامية، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1982م، ص 71-76.

واتخذ المسلمون منذ عهد الرسول (صلى الله علية وسلم) الكتاب أو المكتب مدرسة يحفظ فيها أبناؤهم القرآن الكريم ويتعلمون مبادئ القراءة والكتابة، وقد ظل الكتاب ينمو شيئا فشيئا حتى انتشر بكثرة فى مصر وغيرها من البلدان الاسلامية الأخرى. [1]

وكان الكتاب فى مستهل الأمر يتخذ مكانا فى المسجد فى زاوية من زواياه أو أمام محراب من محاريبه ، كما هو الحال فى الوقت الحاضر وذلك لما بين المسجد والكتاب من علاقة دينية تعليمية وثيقة ولكن بعد ذلك انفصل فى أماكن مستقلة نظرا لبعث الأطفال بأثاث المسجد فضلا عن التشويش على المصليين. [2]

وهذا الكتاب الذى استقل بعيدا عن المسجد قد يتخذه المعلم فى حجرة من داره أو فى أى مكان آخر ومما يسترعى الانتباه أن المسلمين فى مصر وغيرها من البلدان لم يهتموا بزخرفة الكتاب أو تنسيقه فى العصر الفاطمى ولا فى غيره من العصور بل ظل على بساطته لفترة طويلة وحتى الوقت الحاضر كما نراه فى قرى الدلتا وغيرها من قرى مصر. [3]

وكان منهج الدراسة بالكتاب وأهم مواده القرآن الكريم حيث يتعلم الصبى القراءة وأصول الدين يقول ابن خلدون[4] " اعلم ان تعليم الوالدان القرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم".

وكان الأطفال يلتحقون بالمكتب فى سن مبكرة تتراوح أعمارهم بين سن السادسة والعاشرة لحفظ القرآن الكريم ويستخدمون الألواح للكتابة عليها. [5]

ومما يؤسف له حقا برغم أهمية الكتاب البالغة فى ازدهار الحركة الفكرية عبر العصور، فنجد المصادر التاريخية المتاحة لدينا تلتزم الصمت وتخلو من أية إشارة للكتاتيب بالدلتا.

(2)المساجد:

لا جدال فى أهمية المسجد التعليمية فكان دارا للعبادة ومحكمة للتقاضى ومعهدا للتعليم، بحيث كانت المساجد تؤدى دور المدارس والجامعات فى الوقت الحاضر حيث كان

([1])خطاب عطية على: التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول، دار الفكر العربى، القاهرة 1947م، ص 70.

([2])نفسه، ص 71.

([3])نفسه، ص 71.

([4])المقدمة: ص 473.

([5])Bayard Dodge : Muslim Education in Medieval times the middle East Washigton 1262, P. 3.

الناس يجلسون فيها حول العلماء يستمعون إلى ما يلقونه عليهم فيها من علوم وآداب واستمرت هذه الحلقات العلمية والأدبية تقام بجامع عمرو بن العاص فى العصر الفاطمى ويشهدها عدد كبير من الأساتذة والطلاب ويدلنا على كثرة هذه الحلقات ما ذكره لنا المقدسى[1] الذى زار مصر سنة 375هـ/ 985م فى عصر العزيز بالله فى وصفه لهذه الحلقات فيقول " وبين العشاءين – المغرب والعشاء- جامعهم يغص بحلقات الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة دخلتها مع جماعة من المقاومة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم إلى المجلس فتنظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددت فيه مائة وعشر مجالس فإذا صلوا العشاء قام البعض إلى ثلث . وأكثر سوقهم إذا رجعوا من الجامع ولا نرى أجل من مجالس القراء به".

وهكذا يتضح لنا من هذه النصوص زيادة عدد الحلقات العلمية التى تضم عددا كبيرا من الأساتذة والطلاب فإذا كان عدد الأساتذة مائة وعشرين أستاذا فكم يكون عدد الطلاب؟ هذا ما لم تمدنا به المصادر ولكننا نجزم بكثرة عدد الطلاب.

وبطبيعة الحال ان نظام الحلقات بالمساجد كان سائدا فى كافة البلاد[2] " ومنها الدلتا حيث يشير المقدسى[3] إلى ما مر به من المساجد فى المحلة والاسكندرية ودمياط ويقول " ولا مدينة فى مقياس علمنا هذا إلا بمنبر".

كما يتحدث ابن جبير[4] عن مساجد الاسكندرية فيقول "وهى من أكثر بلاد الله مساجدا حتى ان منهم من يقول ان مساجدها اثنى عشر ألفا ومنهم من يقول ثمانية آلاف".

بينما يضيف القلقشندى[5] " ان مساجد الاسكندرية أحصيت فى وقت من الأوقات فوجدت عشرين ألف مسجد".

كما أشار العمرى[6] " إلى مساجد الاسكندرية بقوله " بها الديار الجليلة والجوامع والمساجد". ويبدو أن هذه الأرقام مبالغ فيها وأن هذه المساجد كانت مصليات صغيرة وذلك لكثرة عددها.

---

(1) احسن التقاسيم : ص 205.

(2) Bayard Dodge : Mslim Education , P. 7.

(3) احسن التقاسيم، ص 193.

(4) الرحلة، ص 47.

(5) صبح الأعشى، جـ3، ص 404.

(6) مسالك الأبصار، جـ1، ص 88.

وكان جامع العطارين من أشهر مساجد الاسكندرية للثقافة الاسلامية فى العصر الفاطمى حيث شيده بدر الجمالى عند نزوله بثغر الاسكندرية فى سنة 477هـ/ 1084م[1]، ويشير الدكتور جمال الدين الشيال[2] إلى خطأ المؤرخين الذين يذكرون ان بناء المسجد تم على يد القائد بدر الجمالى وزير المستنصر ولكن من الثابت أنه كان يقوم مكانه مسجد قديم فكل ما فعله بدر الجمالى أنه أعاد تجديده.

وساعد موقع الاسكندرية على شاطئ البحر المتوسط[3]، وسهولة الوصول إليها بطريق البر والبحر[4] ، على أن تكون من أهم مراكز الثقافة آنذاك ، فنزح إليها العلماء والفقهاء وطلاب العلم من كافة الأقطار النائية حيث وجد كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ومدرسا يعلمه ما يريد تعليمه. [5]

ومن أشهر العلماء الذين تصدوا للدرس ابن الفحام الصقلى وإليه انتهت رئاسة الأقراء بالاسكندرية[6]، والنحوى عبد الكريم بن على الطفال الاسكندرى صاحب حلقة الجامع بالاسكندرية لاقراء النحو وعلوم العربية.[7]

وقد غدت المدينة مركزا علميا ثانيا بعد القاهرة يفد إليها أهل العلوم والآداب من المغرب والأندلس.

وكانت مساجد دمياط حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب[8]، الذين سجل بعضهم مشاهداته كما فعل المقدسى[9]، إذ قال " بدمياط رباطات كثيرة حزبة ولهم مواسم كل سنة يقصدها المرابطون من كل جانب".

كما انتشرت المساجد بكثرة فى تنيس فبلغت على حد قول ابن بسام مائة وستون مسجدا[10]، ولذلك نجد ان تنيس خرج منها جماعة من الفضلاء والعلماء والمحدثين والأدباء. [11]

---

(1) Wiet : Repertoire V.7 , P. 225.
(2) تاريخ الاسكندرية، دار المعارف، القاهرة، 1967م، ص 42.
(3) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص 113.
(4) العمرى: مسالك الابصار، ص 89، والحميرى : الروض المعطار، ص 56.
(5) ابن جبير: الرحلة، ص 46.
(6) السيوطى : حسن المحاضرة، جـ1، ص 283.
(7) القفطى : ابناه الرواه ، جـ2، ص 191.
(8) نقولا يوسف: تاريخ دمياط، ص 115.
(9) احسن التقاسيم: ص 202.
(10) ابن بسام : انيس الجيس، ص 184.
(11) ابن دقماق: الانتصار، ص 78.

وحفلت مدن الدلتا الأخرى بالمساجد كدمنهور[1]، وأبيار[2]، ومنوف[3]، والمحلة.[4]

وبلغ اهتمام الفاطميين بالمساجد أقصاه فى عهد الخليفة المستنصر ويصف ذلك ناصر خسرو[5]، بقوله " ولكل مسجد منها رعاية ونفقات يقدمها المشرفون عليها من زيت السرج والحصر والسجاجيد ورواتب القوم والفراشين والمؤذنين والقراء والفقهاء وغيرهم من أهل العلم والأدب".

(3)المـــدارس: [6]

أ-مدرسة الطرطوشى :

ولد محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى المعروف بالطرطوشى ببلد طرطوشة من بلاد الأندلس ، ورحل منها لطلب العلم لكافة بلاد الأندلس وأجاز له القاضى أبو الوليد الباجى بسرقسطة[7]، وأخذ عنه مسائل الخلاف ثم رحل إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ولحرصه على تحصيل العلم توجه إلى بلاد العراق فدخل البصرة وبغداد حيث تلقى العلم من أبى بكر الشاشى وابن سعيد المتولى وأبى سعيد الجرجانى من أئمة الشافعية كما سمع من أبى على الشترى بالبصرة ثم عزم على الرحيل إلى بلاد الشام حيث مكث بها مدة ودرس بها والتف حوله الناس وأخذوا عنه علما كثيرا وكان أماما عالما زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا .[8]

ثم رحل الطرطوشى إلى مدينة الاسكندرية فدخلها فى أعقاب فتنة الوزير الأفضل بن بدر الجمالى سنة 487هـ/ 1094م والتى انتهت بقتل عدد من علمائها فوجد البلد عاطلا عن العلم فاقام بها وبث علما جما وكان يقول " ان سألنى الله تعالى عن المقام بالاسكندرية

([1])ابن دقماق: الانتصار، ص 101، والقلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 402.

([2])ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 21.

([3])القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 405.

([4])القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 406.

([5])سفرنامه، ص 65.

([6])اول من بنى المدارس فى الاسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسين بن على الطوسى، وكان وزير السلطان البارسلان السلجوقى، وكان يحب الفقهاء والصوفية ويقربهم منه بنى المدرسة النظامية ببغداد وشرع فى بنائها سنة 456هـ.

انظر : السيوطى : حسن المحاضرة، جـ2، ص 184.

([7])بلدة مشهورة بالأندلس تجاور تطيلة .

انظر: ياقوت : معجم البلدان ، جـ5، ص 71.

([8])ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة اعيان المذهب، القاهرة 1329هـ، ص 276.

ابن العماد: شذرات الذهب، جـ4، ص 64.

لما كانت عليه فى أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة، وغير ذلك من المناكر التى كانت فى أيامهم أقول وجدت قوما ضلالا فكنت سبب (فى) هدايتهم ". [1]

ولم يلبث أن ذاعت شهرته فى الاسكندرية وقصده الطلاب والعلماء لكن الوزير الأفضل أخرجه من الاسكندرية وألزمه الاقامة بالفسطاط ومنعه من التدريس بسبب وشاية ضده من والى الاسكندرية آنذاك ابنى حديد لأن الطرطوشى يعترض على سياسته الجائرة فى تحصيل المكوس والمعونة على المظالم. [2]

وعندما أسندت الوزارة للمأمون البطائحى تعاطف مع الطرطوشى وأكرمه كثيرا فصنف له الطرطوشى كتاب سراج الملوك. [3]

ومن مؤلفات الطرطوشى تعليقته فى مسائل الخلاف، وفى أصول الفقه وكتابه فى البدع والمحدثات.

وكان الشيخ الطرطوشى قد تزوج بالاسكندرية امرأة ذات ثراء فحسنت أحواله ووهبت له دارا كبيرا فاتخذ من الدور العلوى سكنا له ولزوجته وجعل قاعتها السفلى للطلبة فجعلها مدرسة ولازم التدريس بها وتفقه عنده جماعة من أهل الاسكندرية. [4]

وكان للشيخ الطرطوشى طريقته الفريدة فى القاء دروسه إذا كان يصحب طلابه فى رحلات خارج المدينة فى أكثر الأوقات حيث الهدوء والراحة والبعد عن الضوضاء، وقد استهوت هذه الطريقة عددا كبيرا من الطلبة الذين أقبلوا على دروسه حتى قارب عددهم أربعمائة طالب وكان يقوم على خدمة الشيخ وقضاء حوائجه أحد تلاميذه وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على النجيبى الذى يصف نزهات شيخه بقوله " كان صاحب نزهة مع طلبته فى أكثر الأوقات يخرج معهم إلى البستان فيقيمون الأيام المتوالية فى فرجة ومذاكرة ومذاعبة مما لا يقدح فى حق الطلبة بل يدل على فضلهم وسلامة صدورهم " قال وخرجنا معه فى بعض النزهة فكنا ثلاثمائة وستين رجلا لكثرة الآخذين عنه المحبين لصحبته وخدمته. [5]

ويعلق الدكتور عبد الغنى محمود[6] ، عبد العاطى على هذه المدرسة بقوله ولعلنا نقف هنا وقفة قصيرة أمام هذه المدرسة فالمعروف ان دور العلم الذى أنشئت قبل ذلك كانت

([1])ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص 278.
([2])ابن فرحون : المصدر السابق، ص 277.
([3])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 257، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ4، ص 63.
([4])ابن فرحون: المصدر السابق، ص 276- 277.
([5])ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 277.
([6])التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، ص 39- 40.

الدولة هى التى تقيمها وتتبناها وتقوم بالانفاق عليها سواء فى دار العلم أو المساجد بالقاهرة التى كانت تتفق عليها الدولة الفاطمية، وتحدد العلوم التى تدرس فيها، أما هذه المدرسة فلم تكن فى حقيقة أمرها مدرسة بالمعنى العلمى الذى عرف فيما بعد بمعنى أنه لم تتوافر لها أركان المدرسة من وقف يدعمها ويحدد عدد المدرسين والطلاب الذين يدرسون فيها نوع الدراسة وإنما كانت اشبه بحلقة دراسية التف فيها مجموعة من طلاب العلم حول شيخ سمعوا بفضله وعلمه للأخذ عنه ولذا أطلق عليها مدرسة تجاوزا بوصفها مكانا للدرس دون أن تتوفر بها أركان المدرسة، كما هو معروف فى مصطلح تاريخ العصور الوسطى.

ب-مدرسة أبو طاهر بن عوف: [1]

أسس هذه المدرسة أبو طاهر بن عوف أحد تلامذة الطرطوشى النابغين الذين تتلمذوا فى مدرسته على مذهب الامام مالك، وكان ابن عوف أمام عصره وفريد دهره فى الفقه على مذهب الامام مالك وعليه مدار الفتوى وجمع إلى ذلك الورع والزهد مع كثرة العبادة والتواضع التام ونزاهة النفس[2]، أقيمت هذه المدرسة بثغر الاسكندرية على يد الوزير رضوان بن ولخشى[3]، وهى أول مدرسة أسست فى الاسكندرية ويطلق عليها اسم المدرسة الحافظية نسبة إلى الخليفة الحافظ. [4]

لقد ساعد موقع الاسكندرية الفريد على استقرار المرابطين والفقهاء ومن يفد إليها رغبة فى تحصيل العلم فاهتم الخليفة الحافظ بإنشاء المدرسة بالثغر لجمع شمل العلماء وفى هذا الصدد يذكر لنا القلقشندى سجلا بإنشائها فى غاية الأهمية، ويعتبر من الوثائق النادرة للعصر الفاطمى. "... وإن طالبى العلم من أهله ومن الواردين إليه والطارئين عليه مشتتو الشمل متفرقوا الجمع" " أبى أمير المؤمنين ان يكونوا حائرين متلددين ولم يرضى لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا عليهم وانعاما ومستقرا لهم". [5]

واشتملت مبانى المدرسة على مساكن للطلاب لكى تكون " مستقر لهم ومقاما ومثوى لجميعهم ووطنا ومحلا لكافتهم وسكنا". [6]

([1])اسماعيل بن مكى بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف صاحب رسول الله (ص) (485هـ - 581هـ/ 1092- 1158م).

([2])ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 95.

([3])ابن ميسر: اخبار مصر، جـ2، ص 257- 258.

([4])ابن ميسر : المصدر السابق، ص 13 هامش (2)

([5])القلقشندى : صبح الأعشى، جـ 10، ص 458.

([6])نفسه، ص 458.

كما رتب لهم الخليفة كافة المستلزمات التى يحتاجون إليها فى معاشهم أثناء إقامتهم بالمدرسة إذ يذكر السجل " وأن يكون ما ينصرف إلى مؤنة كل منهم والقيام بأوده واعانته على ماهو بسبيله ويحدده من عين وغلة مطلقا من ديوانه". [1]

وأسند الخليفة الحافظ إلى أبى الطاهر بن عوف مهمة التدريس والاشراف على شئون هذه المدرسة نظرا لكفايته العلمية فى العلوم الشرعية[2]، والتدريس بالمدرسة اقتصر على علوم الشريعة كما حددها السجل " وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين وتعلم ما علمك أياه لمن يريد ذلك من الموءثرين والطالبين". [3]

كما يناشد المرسوم الموظفين بثغر الاسكندرية الاهتمام بأمر المدرسة وطلبة العلم النازلين فيها والاهتمام بمصالحهم وان يتلى هذا المنشور بالمسجد الجامع، وان يحفظ السجل بالمدرسة حجة بما تضمنه حماية لهم من سطوة أى متطرف من الأمراء أو الوزراء الشيعيين إذ ينص السجل " وليخلج بهذه المدرسة حجة بما تضمنه إن شاء الله عز وجل. [4]

وقد استمرت هذه المدرسة قائمة بالاسكندرية تؤدى رسالتها حتى نهاية الدولة الفاطمية وسقوطها على يد صلاح الدين الايوبى فحظى عنده ابن عوف بمكانة كبيرة وكان صلاح الدين يراسله ويستفتيه وقيل ان ابن عوف كان السبب فى تجديد الصادر بثغر الاسكندرية وهو شئ وظفه صلاح الدين على تجار النصارى إذا صدروا من الاسكندرية" حتى زائدا على العشر رتبة لفقهاء الثغر دنانير تصرف كل شهر"[5]. وقصده صلاح الدين وسمع منه الموطأ. [6]

([1])نفسه، ص 459.
([2])نفسه، ص 459.
([3])نفسه، ص 459.
([4])القلقشندى : صبح الأعشى، جـ1، ص 459.
([5])نفسه، ص 459.
([6])الصفدى : الوافى بالوافيات، جـ9، ط2، باعتناء يوسف خان اس بيروت 1981م، ص 328.
- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ1، ص 257.
- ابن العماد: شذرات الذهب، جـ4، ص 268.

ج-مدرسة الحافظ السلفى : [1]

ولد أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السلفى الملقب بصدر الدين بمدينة أصبهان[2] ، فى سنة 475هـ/ 1082م أو قبلها فى بيت أشرقت فيه أنوار العلم، وكان أبوه احمد من أهل العلم والتقوى وانعكست هذه البيئة العلمية على أبى الطاهر حيث كرس اهتمامه لتحصيل العلم، ولذلك تصدر للتدريس وهى صبى فى سن السابعة من عمره ولكن طموحه البعيد ان يحفزه على السفر والارتحال ففى رمضان سنة 493هـ/ 1099م رحل عن موطنه فكان ذلك فاتحة جولة علمية واسعة فى الآفاق استغرقت ثمانية عشر عاما فى طلب الحديث. [3]

وبدأ جولته العلمية ببغداد وتلقى العلم من أبى الخطاب نصر بن احمد بن البطر أبى الحسين ابن الطيورى وآخرين، ثم رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج ومنها توجه إلى بلاد الشام ثم إلى خراسان وأخذ يجوب كافة البلاد لتحصيل العلم والتقى بالحورى[4]، فى مدينة واسط. [5]

وكتب عنه أجوبة الأسئلة ، وعكف الحافظ السلفى تسعة أعوام على قراءة القرآن وكتابة الحديث والفقه والأدب والشعر[6]، وفى سنة 510هـ/ 1116م ركب البحر من صور إلى الاسكندرية وبدأت فى حياته صفحة العطاء والاستقرار وأقام بالاسكندرية[7]، وقصده الناس من كافة البلاد للاستفادة من علمه[8]، وكان دوؤبا على المطالعة والنسخ وتحصيل

([1])سلفة لقب أحد أجداده وهو لفظ عجمى معناه بالعربية ثلاث شفاه لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة فصارت شفتين.
الحوزى : سوءلات الحافظ السلفى، ص 7.
- الصفدى: الوافى بالوافيات، جـ7، ط2، باعتناء احسان عباس، بيروت، 1981م، ص 351-352.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، المجلد الأول، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص 107.

([2])اصبهان مدينة عظيمة وهى من نواحى الجبل فى آخر الاقليم الرابع.
ياقوت : معجم البلدان ، جـ1، ص 206.

([3])الحوزى : سوءلات الحافظ السلفى، ص 8.

([4])أبو الكرم خميس بن على بن احمد بن على بن ابراهيم بن الحسن بن سلاموبه الحوزى ت 510هـ/ 1116م.

([5])تقع واسط على جانبى دجلة وهى مدينة انشأها الحجاج بن يوسف وهى كثيرة الشجر والنخل.
انظر : ابن حوقل : صورة الأرض، ص 214.

([6])الحوزى: سوءلات الحافظ السلفى، ص 8-9.

([7])الحوزى: المصدر السابق، ص 9 ، والصفدى : الوافى بالوافيات، جـ7، ص 357.

([8])ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ1، ص 44.

الكتب[1]، وكان فريد عصره فامتدحه الذهبى بقوله " ولا أعلم أحد مثله"[2]، ويقول الصفدى[3] " وكان اماما مقرئا مجودا حافظا جهبذا فقيها نحويا ماهرا لغويا محققا، ثقة فيما ينقله حجة ثبتا انتهى إليه علو الإسناد فى البلاد".

وتزوج السلفى بالاسكندرية من امرأة ذات يسار فوفرت له الأموال اللازمة وبنى له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الظافر الفاطمى فى سنة 546هـ/ 1151م مدرسة بثغر الاسكندرية وأسند إليه مهمة التدريس فيها[4]، وكان لإنشاء هذه المدرسة فرحة كبيرة عند أهل الاسكندرية وعبر أحد شعرائهم عن فرحته بقصيدة يمدح فيها العادل بن السلار ويفخر بوجود هذه المدرسة بالاسكندرية. [5]

وكان الحافظ السلفى يتمتع بمكانة عظيمة عند الخلفاء الفاطميين رغم مخالفته لهم فى المذهب ، ولعلمه الغزيز نجد صلاح الدين يتقرب إليه بل يرحل هو واخوانه للسماع عليه.[6]

د-الخانقاوات والربط والزوايا:

الخانقاه:

من معاهد العلم التى انتشرت بالاسكندرية الخانقاه[7]، وهو فارسية ومعناها البيت وهى حديثة فى الاسلام فى القرن الرابع الهجرى، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة

([1])ابن العماد: شذرات الذهب، جـ4، ص 255.

([2])الحوزى : المصدر السابق، ص 9 ، وابن العماد: المصدر السابق، ص 255.

([3])الوافى بالوافيات ، جـ7، ص 352.

([4])الحوزى : المصدر السابق، ص 9 والصفدى: الوافى بالوافيات ، جـ7، ص 357.

- ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ1، ص 44.
- السبكى : طبقات الشافعية ، الجزء السادس، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الفتاح محمد الخلف وآخرين، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة 1968م، ص 37.
- ابن العماد : المصدر السابق، ص 255.
- شوقى ضيف : عصر الدول والامارات، دار المعارف القاهرة 1984م، ص 80.
- محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر الأيوبى، ص 157.
- عبد اللطيف حمزة : الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية ، سلسلة الألف كتاب رقم 242 مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 25.

([5])ومن أبيات هذه القصيدة:

لله در العادل المرتجى ذى العز والتأييد والنصر
أنشأها لنا مدرسة مثلها لم ينشى فى دهر ولا عصر
بغداد دار العلم فلم تفخر بمثلها قط على مصـــــر

- جمال الدين الشيال : أعلام الاسكندرية، ص 140.

([6])الحوزى : سوءلات الحافظ السلفى، ص 9.

- الصفدى : الوافى بالوافيات ، جـ7، ص 354.

(7)ابن بطوطة : مذهب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 12، والقلقشندى، صبح الأعشى، جـ3، ص 404.

والتصوف ، وأول من احدث الخانقاه فى الاسلام صلاح الدين الايوبى ، فكانت الخانقاه التى أنشأت دارا تعرف بأولاد سعيد السعداء نسبة إلى الاستاذ قنبر سعيد السعداء عتيق الخليفة المستنصر ، وكانت هذه الدار مقابل الوزارة. (1)

الربـــاط:

من أعظم المراكز العلمية ، وهى لا تقل أهمية عن المسجد من حيث كونه مكانا تشع منه الدعوة للاسلام(2)، وأطلق المسلمون على الحدود التى تجاور بلاد العدو ثغرا، والثغر الذى يدافع أهله عن الاسلام اسم رباط(3) ، وقد جاءت كلمة رباط من قوله تعالى " وصابروا ورابطوا". (4)

وانتشرت الأربطة فى مدن الدلتا الساحلية فى ثغر الاسكندرية(5)، ودمياط أما تنيس فكان يرابط بها جيش كامل السلاح لحمايتها من غارات الفرنج والروم. (6)

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن (7)، كان العلماء والشعراء الذين يفضلون حياة التقشف والراحة يلجأون إلى هذه الثغور للتفرغ للدرس والبحث ويمتاز الرباط إلى جانب طابعه الحربى بأن له وظيفته الدينية للعبادة وتلاوة القرآن والفقة فى الدين.

الزوايـــا:

ومن معاهد العلم الزاوية فيحدثنا ابن بطوطة(8)، عند زيارته لمدينة دمياط بقوله " وبدمياط زاوية لقيت بها شيخها المعروف بابن قفل وبها زاوية الشيخ جمال الدين " وكذلك انتشرت الزوايا فى الاسكندرية(9)، وقليوب. (10)

ويجب على المدرس الذى يقوم بالتدريس فى الزوايا ان يتصف بسعة العلم والتضلع فى الفنون ويتصف بالعدل ويهتم بتربية الطلبة وتأديبهم وشرح ما يصعب فهمه عليهم ، وتشجيع النابغين منهم. (11)

---

(1)المقريزى : الخطط، جـ1، ص 414- 415 ، والسيوطى: حسن المحاضرة جـ3، ص 187.
(2)حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ4، ص 436.
(3) ياقوت : معجم البلدان، جـ2، ص 79، والمقريزى : الخطط، جـ2، ص 427.
(4)سورة آل عمران الآية 200.
(5)ابن بطوطة: مذهب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 12، والقلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 404.
(6)ناصر خسرو : سفرنامة، ص 40.
(7)تاريخ الاسلام، جـ4، ص 437.
(8)رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 24.
(9)القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 404.
(10)ابن دقماق: الانتصار، ص 48.
(11)القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 501.

ثانيا: الحياة العلمية :

لم تقتصر النهضة العلمية فى العصر الفاطمى على القاهرة فحسب بل امتدت إلى كافة اقاليم مصر ، وقد ساهم أبناء الدلتا فى تلك النهضة ولم يقفوا مكتوفى الأيدى إزاء هذا الأزدهار الملحوظ فخرج من الدلتا علماء فى كافة فروع العلم كالطب واللغة والنحو والتاريخ والجغرافيا والرحلات.

1-الطب:

اهتم الفاطميون بالطب لأنه من أهم العلوم التى ترتبط بصحة الانسان ويشير إلى ذلك ابن خلدون[1] ، بقوله "وهى صناعة تنظر فى بدن الانسان من حيث يمرض ويصح".

ومن أشهر أطباء الدلتا الأسعد المحلى هو أسعد الدين يعقوب ابن اسحق اليهودى من مدينة المحلة الكبرى له دراية واسعة فى أمور الحكم والاطلاع على دقائقها.

ومن مؤلفات الأسعد فى علوم الطب مقالة فى قوانين طبية وهى مكونة من ستة أبواب ، وكتاب المنزه فى حل ما وقع من إدراك البصر فى المرايا من الشبه ، وكتاب فى مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر وانها أصح واعدل ، وفى مسائل أخرى فى الطب واجوبتها وهو يحتوى على ثلاث مقالات. [2]

ومن الأطباء الذين نزلوا بالاسكندرية امية بن عبد العزيز بن أبى اصلت الأندلسى كانت له خبرة واسعة فى الطب ، ومن مؤلفاته كتاب الأدوية المفردة. [3]

2-علم اللغة النحو :

ازدهرت الدراسات فى علوم اللغة والنحو فى الدلتا ، ومن أبرز علماء اللغة فى عصر الحاكم بأمر الله العالم المشهور أحمد بن مطرف بن اسحاق القاضى وله مجموعة من التصانيف الأدبية منها " كتاب فى النوائح " وهو كتاب كبير فى علم اللغة " ورسالة فى الضاد والظاء " أرسلها إلى الشريف ابى الحسن محمد بن القاسم عامل تنيس. [4]

وكذلك احمد بن مطرف المتوفى سنة 413هـ/ 1022م الذى ولى قضاء دمياط له تصانيف أدبية ولغوية. [5]

([1])المقدمة ، ص 411.

([2])ابن أبى اصيبعة : عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص 583 – 584.

([3])ابن أبى اصيبعة: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص 514.

- ابن العماد : شذرات الذهب، جـ4، ص 144.

([4])ياقوت : معجم الأدباء، جـ5، ص 63.

- الصفدى : الوافى بالوافيات ، جـ8، ط2، باعتناء محمد يوسف نجم، ص 181.

(5)ياقوت : معجم الأدباء ، جـ5، ص 63- 64 والصفدى : الوافى بالوافيات ، جـ8، ص 181. =

ومن أعظم علماء النحو أبو الحسن على بن ابراهيم بن سعيد بن احمد بن يوسف الحوفى المتوفى سنة 430هـ/ 1038م، أصله من قرية شبرا من حوف بلبيس ، أخذ العلم على أبى بطر الأدفوى[1] ، كما أخذ العلم عن جماعة من علماء المغرب. [2]

ومن أبدع تصانيفه كتابه " فى اعراب القرآن " يقع فى عشر مجلدات ، وصنف فى النحو مصنفا كبيرا[3] ، يقول عنه القفطى[4] " عنى به النحويون استوفى فيه العلل والأصول".

وكان الحوفى من أئمة اللغة والأدب فى عصره وتتلمذ عليه كثيرون من الطلاب يقول ابن خلكان[5] " رأيت خطه على كثير من كتب الأدب قد قرئت عليه وكتب لاربابها بالقراءة كما جرت المشايخ " ومن مؤلفاته الأرشاد لطريق خبر العباد والعباد.[6]

ومن جملة أرباب اللغة والنحو ابن عبد الجبار بن على بن عبد الجبار بن سلامة بن غيدون (ولد سنة 428هـ/ 1036- 1037م) وتوفى سنة 516هـ/ 1117-1118م وكان اماما فى اللغة حافظا لها حتى أنه لو قيل لم يكن فى زمانه أعلم منه لما استبعد وكانت له قدرة

= - محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربى، القاهرة 1950م، ص 119.

(1)ياقوت : معجم الأدباء جـ 12، ص 221- 222، وياقوت : المشترك ، ص 149.

القفطى : أبناه الرواه ، جـ2، ص 219. وابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ3، ص 300.

اليمانى: اشارة التعين فى تراجم النحاة واللغويين، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث 1986م، ص 206.

السيوطى : بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة ، دار المعرفة، بيروت، ص 325.

السيوطى : حسن المحاضرة، جـ1، ص 206، وابن العماد: شذرات الذهب، جـ3، ص 247.

شوقى ضيف : المدارس النحوية، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة، ص 334.

شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ص 116، وحسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص 348.

خضر احمد عطا الله : الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ص 384.

السيد طه ابو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية، مطبعة محسن بسوهاج، 1988م، ص 167.

احمد كامل محمد صالح : مصر بين المذهب السنى والمذهب الاسماعيلى فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة 1987م، ص 193.

(2)القفطى : ابناه الرواه ، جـ2، ص 219.

- ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ3، ص 300.

(3)القفطى : ابناة الرواه ، جـ2، ص 220.

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ3، ص 300.

(4)ابناه الرواه ، جـ2، ص 220.

(5)وفيات الأعيان، جـ3، ص 300.

(6)حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، الجزء الأول، دار العلوم الحديثة، بيروت، ص62.

فائقة على نظم الشعر قال الحافظ السلفى فكانت له قدرة فائقة على نظم الشعر وله قصائد ، وقد اجبته عنها، ومن جملة شعره قصيدة فى الرد على البغدادى فيها احد عشر الف بيت على قافية واحدة وفيها فوائد ادبية. [1]

ومن اشهر النحاة حسن بن على الاسكندرانى كان موجودا فى سنة 507هـ/ 1113-1114م[2].

والحسن بن جعفر بن حسن بن عبد الرحمن بن مروان الاسكندرانى الذى صنف كتابا فى النحو سماه المذهب ذكر فيه انه قرأ النحو على أبى الحسن مكى بن محمد بن عيسى بن مروان بالاسكندرية فى حدود سنة 517هـ/ 1023م. [3]

ومن أبرز علماء النحو بالغربية خزعل بن عسكر بن خليل رحل إلى العراق وتتلمذ على ابن الانبارى عبد الرحمن المعروف بأبى البركات. [4]

ومن أعظم علماء النحو عبد المنعم بن صالح بن احمد بن محمد القرشى التميمى الاسكندرانى المتوفى سنة 633هـ/ 1235م- 1236م تلقى علم النحو من ابن برى وسمع من حماد الحرانى ، وكان علامة ديار مصر ادبا ونحو[5]، وكذلك عبد الكريم بن محمد بن على بن الطفال من اعظم النحاة فى عصره فكان صاحب حلقة الجامع بالاسكندرية لتدريس النحو . [6]

ومن علماء النحو بالدلتا الذين نزحوا إلى بلاد الشام على بن محمد السخاوى أصله من بلدة سخا تلقى علم النحو من الشاطبئ وغيره ورحل إلى دمشق واشتغل بالترديس بجامع دمشق ، وتتلمذ عليه كثير من الطلاب. [7]

ومن أشهر علماء النحو الذين نزلوا بالاسكندرية ابراهيم بن محمد بن سليمان البحصبى من المشهورين بالادب والنحو أقام بمكة ثم رحل إلى الاسكندرية سنة 548هـ/ 1154م وتتلمذ على ابى الركب النحوى المشهور. [8]

ومن علماء النحو فى أواخر العصر الفاطمى الحسن بن حيون من مواليد سخا سنة 563هـ/ 1168- 1169م المشهور باللغوى النحوى الأديب. [9]

([1])محمد زغلول سلام : الادب فى العصر الأيوبى، ص 161.
([2])عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ، الجزء الثالث، مطبعة الترقى، دمشق 1957م، ص 249.
([3])السيوطى : بغية الوعاة، ص 218، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، جـ3، ص 212.
([4])القفطى : ابناه الرواه ، جـ1، ص 353.
([5])السيوطى : بغية الوعاه ، ص 315.
([6])القفطى : ابناه الرواه، جـ2، ص 191.
([7])القفطى : ابناه الرواه، جـ2، ص 311- 312 .
([8])السيوطى : بغية الوعاه ، ص 186.
([9])السيوطى : بغية الوعاه ، ص 233.

وكذلك عبد الرحمن بن احمد بن المنذر قاضى الاسكندرية المعروف بالأبحر تتلمذ على أبيه أبى بكر الطرطوشى وكان عالما فاضلا ومتمكنا فى الفقه والنحو واللغة والحديث والأدب توفى سنة 568هـ/ 1172- 1173م. [1]

3-علم التاريخ :

ازدهرت حركة التأليف من علم التاريخ فى العصر الفاطمى ، ومن اعلام الرواة والمحدثين الذين عاشوا بالقرب من الأحداث الحسن بن ابراهيم الليثى المعروف بابن زولاق المتوفى سنة 387هـ/ 997م وهو حجة لا يستهان به فى تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين لانه كان مصريا فض عن شهرته وسعة اطلاعه فى مادة التاريخ ، وصنف لنا عدة كتب هامة ومنها "كتاب فضائل مصر"[2]، "وكتاب قضاة مصر" الذى جعله المؤلف ذيلا لكتاب القضاة لابى عمر الكندى إلى سنة 296هـ/ 908م كما ألف سيرة كافور وجوهر والمعز والعزيز. [3]

وكذلك نذكر الحسن بن على الشابشتى المتوفى سنة 388هـ/ 998م حيث اتصل بخدمة الخليفة العزيز ، فعينه على خزانة كتبه ، وصنف كتاب " الديارات" وذكر فى كتابه اخبارا عن الأديرة فى العراق والموصل وسورية والجزيرة ومصر. [4]

ومن أعظم المؤرخين الأمير المختار عز الملك محمد بن أبى القاسم عبد الله بن احمد المعروف بالمسيحى المتوفى سنة 420هـ/ 1029م الذى كتب عن مصر كتابا مسهبا هو "تاريخ مصر " يقع فى ستة وعشرين الف صفحة[5] ، وهو من جملة مؤلفاته التى بلغت الثلاثين[6]، وأشاد بذكره ابن خلكان[7] ، وأبو المحاسن[8]، بقولهما " انه التاريخ الجليل الذى سيتثنى بمضمونه من غيره من الكتب الواردة فى معاينة وهو شامل لأخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والائمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية".

وشهد العصر الفاطمى مؤرخا له مكانته فى حركة التاريخ المصرى، وهو القضاعى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعى، ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع الهجرى وتولى قضاء مصر، وكان القضاعى من النابغين فى الكتابة حتى صار من

([1])السيوطى : بغية الوعاه ، ص 297.
([2])ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ2، ص 91.
([3])ياقوت : ارشاد الأريب ، جـ3، ص 7.
([4])ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ1، ص 426- 427.
([5])يقول ابن خلكان (جـ1، ص 653) أنها وقعت فى ثلاثة عشر الف ورقة.
([6])ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ1، ص 516.
([7])وفيات الأعيان ، جـ1، ص 516.
([8])النجوم الزاهرة، جـ4، ص 271.

كتاب البلاط مما جعل الوزير أبا القاسم الجرجائى الذى تلقلد الوزارة سنة 418هـ/ 1027م وتوفى سنة 436هـ/ 1044 – 1045م يقلده أهم المناصب.[1]

ومن مؤلفات القضاعى كتاب " عيون المعارف وفنون اخبار الخلايف " وكتاب " مناقب الأمام الشافعى " وكتاب " تواريخ الخلفاء " وكتاب " خطط مصر".[2]

ومن أشهر المؤرخين الذين ساهموا فى حركة التأليف فى هذا المجال بالاقليم ابو القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غنايم توفى بعد سنة 413هـ/ 1022م حيث صنف كتابا عن تنيس سماه "العروس فى فضائل تنيس".[3]

ومما يؤسف له حقا ان هذا الكتاب مفقود . كما برز ابن بسام وهو محمد بن احمد بن بسام المحتسب التنيس من علماء أواخر القرن السادس الهجرى حيث الف كتابا قيما هو " انيس الجليس فى اخبار تنيس " هو من امتع الكتب عن مصر الاسلامية فى تلك الفترة حيث أمدنا بمعلومات قيمة.[4]

4-الجغرافيا والرحلات:

كان لاتساع نطاق التجارة فى العصر الفاطمى اثره الكبير فى تسهيل وتمهيد السبيل أمام الكاشفين والرحالين ، فظهر كثير منهم قاموا برحلات مهمة ووضعوا فى وصفها الكتب والأسفار ، ووصفوا ما شاهدوه فى البلدان التى اختلفوا إليها وصفا دقيقا مبنيا على المشاهدة ، وبذلك خلف لنا جغرافيوا المسلمين ثروة كبيرة هى خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التى اكتسبوها من أسفارهم فى كثير من الأقاليم والممالك الاسلامية والبلدان.[5]

ومن أشهر الجغرافيين الذين رحلوا إلى مصر فى بداية حكم الفاطميين لها ابن حوقل[6]، البغدادى الذى طاف العالم الاسلامى شرقه وغربه ويقول ابن حوقل فى مقدمة كتابه " المسالك والممالك " والمعروف بضورة الارض " وقد عملت هذا الكتاب على صفة أشكال الأرض ومقدارها بالطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يفرد بالأعمال المجموعة إليها، ولم أقصد الاقاليم السبعة إلى ما عليها قسمة الأرض لأن الصورة الهندسية وان كانت صحيحة فكثيرة التخطيط وقد جعلت لكل قطعة افردتها تصويرا وشكلا ، يحكى موضع ذلك الآقليم ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما فى أضعافها من المدن والأصقاع ، وما فيها من

([1])ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ1، ص 463.
([2])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ1، ص 585.
([3])السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربى، بيروت 1979م، ص 125.
([4])الوطواط: مباهج الفكر، ص 130، هامش (1).
([5])حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 520.
([6])صورة الأرض، ص 10.

القوانين والارتفاع وما فيها من الأنهار والبحار وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الاقليم عل وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات والمسافات فى الطرق".

ويقول الدكتور زكى محمد حسن[1] ، عن ابن حوقل بانه اتصل بخدمة الفاطميين وقد ذهب المستشرق الهولندى دوزى (DOZY) إلى أن هذا الرحالة كان يتجسس ويعمل لحساب الفاطميين فى الأندلس ، فانهم كانوا فى بادئ الأمر يتطلعون إلى فرض نفوذهم على تلك البلاد ويحاولون جمع المعلومات بشتى الطرق.

ومن أبدع ما دونه ابن حوقل وصفه لمدينة تنيس ودمياط اذ يستهل حديثه عنهما بقوله " ومن جليل مدنها وفاخر خواصها ما خصت به تنيس ودمياط وأشار إلى انعدام حرفة الزراعة هناك، وإلى اشتغال الأهالى بصناعة الملابس من الكتان والمصبغات من الحلل التنسية ذات القيمة العالية[2]، كما أشار إلى الطريق الذى يربط الفسطاط بالاسكندرية وذكر البلاد الواقعة عليه[3]، وإلى حركة السفن الصاعدة والنازلة ببحيرة تنيس.[4]

ومن أشهر الجغرافيين والرحالة فى القرن الرابع الهجرى شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى المقدسى المتوفى سنة 387هـ/ 997م يزخر هذا الكتاب بالمعلومات الجغرافية والتاريخية[5]، قال المقدسى[6] " يصف محاسبن كتابه " وما تم لى جمعه إلا بعد جولاتى فى البلدان ودخولى اقاليم الاسلام ولقائى العلماء وخدمتى الملوك ومجالستى القضاة ودرسى على الفقهاء واختلافى إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكريين مع لزوم التجارة فى كل بلد والمعاشرة مع كل أحد".

ولقد زار المقدسى مصر فى العصر الفاطمى وامدنا بوصف ممتع لمدن الدلتا فاشا رالى مدينة الفرما الواقعة على ساحل البحر المتوسط بانها " عامرة آهلة عليها حسن وبها أسواق حسنة". [7]

([1])الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص 41.
([2])ابن حوقل: صورة الارض، ص 143.
([3])نفسه، ص 132.
([4])نفسه، ص 146.
([5])حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص 521.
([6])احسن التقاسيم ، ص 3.
([7])نفسه، ص 195.

كما اشار إلى مدينة بلبيس قصبة الحوف وشهرتها بالقمح الذى كان يرسل من قرية مشتول الطواحين التابعة لبلبيس لبلاد الحجاز اسبوعيا[1]، واعجب المقدسى بمدينة الاسكندرية فامتدحها بقوله "الاسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع، وهو بلد شريف"[2]، وأشار إلى مدينة تنيسى بقوله " هى بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب. [3]

ومن أعظم الرحالة ناصر خسرو الذى قام بجولات فى أنحاء ايران وتركستان والهند وبلاد العرب، وقد ترجمت رحلة ناصر خسروا إلى اللغة الفرنسية وأصبحت مصدرا أساسيا فى دراسة الحضارة الاسلامية فى الشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى. [4]

لقد زار ناصر خسرو مصر فى عهد الازدهار ومر بمدن الدلتا وسجل انطباعه عنها وهو يعتبر من أدق ما وصلنا ، فأشار إلى مدينة تنيس بالمنشأت التجارية وإلى صناعة النسيج ومحاولات الملوك والأباطرة للحصول على كسوة السلطان[5]، وإلى طريقة أهل تنيس فى تخزين المياة.[6]

([1]) نفسه، ص 195.
([2]) نفسه، ص 196- 197.
([3]) نفسه، ص 201.
([4]) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص 56- 57.
([5]) سفرنامة، ص 38.
([6]) سفرنامة، ص 39.

الفصل الثانى
العلوم الدينية والدراسات الأدبية

أولا: العلوم الدينية :

اطلق المسلمون على أى بلد تقع على حدود العدو ثغرا ، كما قيل عن الثغر الذى يدافع أهله عن الاسلام اسم رباط[1] ، وقد جاءت كلمة رباط من قوله تعالى "وصابروا ورابطوا"[2]، وفى موضع آخر من كتابه العزيز "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم". [3]

ومن أهم ثغور الدلتا ثغر دمياط الذى يقع على ساحل البحر المتوسط[4]، ويمثل خط الدفاع الأول لمصر من ناحية الشمال يقول العمرى[5]، عن دمياط " وهى موضع غرة العدو من قبل البحر وقد علقت بها حمة الكفر زمانا طويلا حتى نصر الله عليهم فى أخريات الدولة الأيوبية". [6]

وكان ثغر دمياط من أجل الثغور- يقول ابن شاهين " ثغر دمياط المحروس وهو ثغر جليل " ولا تقل تنيس فى الأهمية عن دمياط، فادرك الفرنجة والروم أهميتها الاقتصادية فاغاروا عليها عدة مرات، لذلك حرصت الدولة الفاطمية على ان يقيم بتنيس جيش كامل السلاح مهمته الدفاع عنها من الفرنجة والروم. [7]

ومن أهم الثغور ثغر الاسكندرية يحدثنا ابن شاهين[8]، عنه بقوله " هو أجل ثغور الاسلام واعظمه، ويشمل على سورين محكمين بها عدة ابراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة والثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل الباب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مجانيق ومكاحل".

([1])ياقوت: معجم البلدان، جـ2، ص 79، والمقريزى : الخطط، جـ2، ص 427.
- محمد محمود الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص 155.

([2])سورة آل عمران (الآية 200).

([3])سورة الأنفال (الآية 60).

([4])المقدسى: احسن التقاسيم، ص 202، وياقوت: معجم البلدان، جـ1، ص 472- 473.

([5])مسالك الأبصار، جـ1، ص 93.

([6])زبدة كشف الممالك، ص 35.

([7])ناصر خسرو: سفرنامه، ص 40.

([8])زبدة كشف الممالك، ص 35.

وساهمت مدن شرق الدتا فى صناعة كسوة الكعبة التى ترسل إلى مكة سنويا مما يدل على أهميتها فى الحياة الدينية ففى سنة 384هـ/ 994م أرسلت كسوتين للكعبة من تنيس. [1]

وكان طريق الحج إلى بيت الله الحرام بمر عبر أراضى الدلتا فكان مسلك الحجاج من مصر إلى بلاد الحجاز ويبدأ من الفسطاط إلى عين شمس إلى المطرية ومنها إلى القلزم حيث يوجد طريقان أحدهما برى والآخر بحرى. [2]

ومن العلوم الدينية التى برز فيها أبناء الدلتا علم القراءات والتفسير والحديث والفقه.

1-علم القراءات:

من أهم فروع الدراسات الدينية التى يحرص عليها المسلمون لأنها ترتبط بتلاوة القرآن الكريم بقراءاته المختلفة ، يقول ابن خلدون[3] " هذه القراءات السبع أصول للقراءة " وكانت هذه القرارات سائدة فى مصر. [4]

وأخذ المصريون قراءة القرآن الكريم برواية نافع نقلها إلى مصر عثمان بن سعيد المعروف بورش الذى رحل إلى المدينة المنورة فى طلب العلم فأخذ عن نافع وعاد إلى مصر يعلم الناس قراءة نافع. [5]

واستمر علم القراءات فى النمو والازدهار بقراءة نافع حتى مجئ الفاطميين لمصر سنة 358هـ/ 968م يقول المقدسى[6] " والغالب عليهم يعنى المصريون والمختار عندهم قراءة نافع".

ومن أشهر قراء الدلتا عبد الرحمن بن أبى بكر عتيق بن خلف العلامة الأستاذ أبو القاسم ابن الفحام الصقلى صاحب كتاب " التجريد فى القراءات" وإليه انتهت رياسة القراء بالاسكندرية علوا ومعرفة قال سليمان بن عبد العزيز الأندلسى" ما رأيت أحدا أعلم

([1])المقريزى : الخطط، جـ1، ص 181.

([2])ناصر خسرو: سفرنامه ، ص 45.

لمزيد من التفاصيل عن طريق الحج أرجع إلى فصل التجارة

([3])المقدمة، ص 365.

([4])المقدسى: أحسن التقاسيم، ص 202.

([5])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 224.

- محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية فى مصر، سلسلة الألف كتاب رقم (244) النهضة المصرية، القاهرة، ص 33.

([6])احسن التقاسيم، ص 203.

بالقراءات منه لا بالمشرف وبالمغرب" قرأ على ابن بابا شاذ عالم اللغة والنحو الشهير علوم اللغة وشرح مقدمته وتوفى سنة 516هـ/ 1122م. وروى عن السلفى.[1]

وكذلك نذكر اسماعيل بن محمود بن أحمد أبا الطاهر المحلى المتوفى سنة 433هـ خطيب جامع المحلة تصدر للقراءة. [2]

ومن العلماء الذين برزوا فى القراءات الحسين بن خلف بن عبد الله بن تليمة (427هـ/ 1035م – 514هـ/ 1120م) نزل بالاسكندرية وصنف كتاب "تلخيص العبارات بلطيف الاشارات فى القراءات". [3]

ويذكر ابن الصفراوى جمال الدين أبو القاسم (544هـ/ 1049م= 636هـ/1232-1233م) أنه تتلمذ فى مدرسة الحافظ السلفى بالاسكندرية وقرأ القراءات على ابى القاسم[4].

ومن العلماء الذين برزوا فى علم القراءات وتتلمذوا على ابن الفحام المقرى عبد الرحمن بن خلف الله أبو القاسم الاسكندرانى المتوفى تقريبا سنة 572هـ/ 1176- 117م كما اتقن علم الحديث وتعلمه من أبى عبد الله الرازى وتصدر عبد الرحمن بن خلف وتعلم الناس القراءة عليه أبو القاسم الصفراوى والفضل الهمدانى. [5]

وبرز من فقهاء المالكية جعفر بن على بن هبة الله أبو الفضل الهمدانى (546هـ/ 1151- 1152 = 636هـ/ 1239م) قراء القرآن على يد عبد الرحمن بن خلف كما أشرنا وأكثر عن السلفى وتصدر لقراءة القرآن[6]، وصنف مفردات القراءات.[7]

ومن أعظم القراء سالم بن ابراهيم بن خلف بن عبد الله أبو الغنايم الأموى الاسكندرى (485هـ/ 1092م= 564هـ/ 1168- 1169م) أمام مقرى ثقة قرأ على أبى القاسم عبد الرحم بن الفحام وأبى البهاء عبد الكريم بن عبد الله. [8]

([1])الجزرى : طبقات القراء ، الجزء الأول، الطبعة الأولى، شرح برجستراسر، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1923م، ص 274.

-السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 283.

([2])الجزرى: طبقات القراء، جـ1، ص 10.

([3])الجزرى: طبقات القراء، جـ1، ص 211، والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 283.

- القسطلانى: لطائف الاشارات لفنون القراءات، الجزء الأول، تحقيق عبد الصبور شاهين وآخرين مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1972م، ص 88.
- ابن العماد: شذرات الذهب، جـ4، ص 41.

([4])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 259.

([5])السيوطى: المصدر السابق، ص 284.

([6])الجزرى: المصدر السابق، ص 193، والسيوطى: المصدر السابق، ص 259.

([7])الجزرى: المصدر السابق، ص 193.

([8])الجزرى: المصدر السابق، ص 300.

ونذكر على بن محمد السخاوى أصله من سخا قرأ لقرآن على أبى القاسم بن فيره الشاطبى ونزح إلى دمشق وتصدر بجامعها للقراءة ومن مصنفاته شرح قصيدة شيخه فى القراءات شرحا كافيا، كما شرح "المفصل" للزمخشرى. [1]

ويعد السخاوى أول من شرح قصيدة شيخه الشاطبى المشهورة فى القراءات واشتهرت بسببه ، وكان أهل مصر كثيرا ما يحفظون " العنوان" لأبى طاهر بن خلف الأندلسى فلما ظهرت القصيدة تركوه. [2]

ومن أبرز القراء الذين نزحوا إلى مدينة الاسكندرية مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب (500هـ/ 1106- 1107م = 579هـ/ 1183م) وهو شيخ مقرى مشهور تتلمذ فى علم القراءات على ابن الفحام[3] ومحمد بن عمر بن مالك بن جعونة ابو عبد الله المعافرى تتلمذ فى مدرسة الطاهر بن عوف فأصبح مقرئا عارفا. [4]

2-علم الحديث:

وهو من أهم مصادر التشريع الاسلامى، ونشطت رواية الحديث فى مصر وكثرت الرحلة فى طلبه ومن أشهر المحدثين أبو بكر محمد بن على بن حسن المصرى (282هـ/ 895م = 369هـ/ 979م) نزل تنيس وسمع من النسائى وأبى على وروى عنه الدارقطنى وغيره. [5]

واشتهرت مدينة تنبس بعدد وافر من العلماء والمحدثين ومن اشهرهم عمرو بن ابى سلمة ابو حفص التنيسى وأبو حامد احمد بن الحسن التنيسى ت 549هـ/ 1057م الذى رحل إلى خراسان ليتلقى علم الحديث ، يقول السمعانى[6] عنه وأدرك بعض مشايخنا لقيته بهراة[7] ، وسمع منه وسمعت منه حديثين أو ثلاثة".

ومن أعظم علماء الحديث أبو عبد الله الرازى صاحب السداسيات محمد بن أحمد بن ابراهيم المشهور بابن الخطاب ت 525هـ/ 1033- 1034م أحد عدول الاسكندرية ومسند الديار المصرية. [8]

([1])القفطى: ابناه الرواة، جـ2، ص 311- 312.
([2])القسطلانى: لطائف الاشارات، جـ1، ص 89.
([3])الجزرى: المصدر السابق، جـ2، ص 308.
([4])الجزرى: المصدر السابق، جـ2، ص 218.
([5])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 199، وابن العماد: شذرات الذهب، جـ3، ص 70.
([6])الانساب: جـ3، ص 98- 99.
([7])هراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. ياقوت: معجم البلدان، جـ5، ص 396.
([8])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 212، وابن العماد: شذرات الذهب، جـ3، ص 75.

وأشتهر بعلم الحديث الحافظ أبو طاهر عماد الدين الاصفهانى ت 576هـ/1180-1181م وكان أماما حافظا متقنا انتهى إليه علو الإسناد بالاسكندرية وكان من أبرز علماء الحديث واعلمهم بقوانين الرواية. [1]

ومن تلامذه عبد الله الرازى العالم المحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن حمزة أبن موقا الانصارى ت 579هـ/ 1183م مسند الاسكندرية فى الحديث. [2]

ومن أعظم المحدثين عيسى بن عبد العزيز بن عبد الواحد اللخمى الشريشى الاصل الاسكندرانى 550هـ/ 1150م = 629هـ/ 1232 وروايته فى الحديث صحيحة ومن تصانيفه كتاب " الأمنية فى علم العربية" و "الجامع الأكبر والبحر الأزخر" فى القراءات يشمل على سبعة آلاف رواية و "التين " و باين مشتبه القرآن" و "الأخبار بصحيح الأخبار" و "الأزهار فى المختار من الأشعار" و "حجة المقتدى فى القراءات" و "نهاية الاختصار فى مذاهب أئمة الأمصار" و "المثال فى الجواب والسؤال والسوائل فى الرسائل". [3]

ومن تلامذة السلفى فى علم الحديث أبو الحسن على بن المفضل المالكى المقدسى الاسكندرى (544هـ/ 1149- 1150م = 611هـ/ 1214- 1215م) كان من الأئمة العارفين ومن حفاظ الحديث المشهورين واشتغل بتصانيف الأحاديث. [4]

وكذلك برز فى علم الحديث السديد بن سماقة أبو اسحاق بن ابراهيم بن عمر الاسعودى قاضى دمياط ، فاشتغل بتدريس الحديث فى مصر والاسكندرية ت 612هـ/ 1215م. [5]

ومن جملة الفقهاء أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن الفتح العريشى سكن بثغر رشيد، وتتلامذ على أبى بكر الطرطوشى ، وغيره من علماء الاسكندرية. [6]

وكذلك على الحسن بن على بن الحسن الحضرمى القيروانى المتوفى سنة 518هـ/ 1124م نزيل الاسكندرية وكان يحضر عند السلفى لسماع الحديث. [7]

([1])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 200.
([2])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 213.
([3])الزركلى: الاعلام، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، القاهرة 1955م، ص 289.
([4])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 200.
([5])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 230.
([6])السلفى: معجم السلفى المعروف بمعجم السفر، الجزء الثانى (مخطوط، مصور بدار الكتب المصرية تاريخ رقم 3932 ميكروفيلم 5865 ورقة 31.
([7])السلفى: معجم السلفى المعروف بمعجم السفر، جـ2، (مخطوط) ورقة 7.

3-علم التفسير: [1]

من العلوم الدينية التى برع فيها أبناء الدلتا بقسط وافر فمنهم اعظم المفسرين أبو الحسن على ابن ابراهيم بن سعيد الحوفى المتوفى سنة 430هـ/ 1038م أصله من قرية شبرا ببلبيس ، تتلمذ على الأدفوى ، ومن أعظم تصانيفه فى مجال علم التفسير " البرهان فى تفسير القرآن"[2] ، حيث يقع فى ثلاثين مجلدا. [3]

ومن أبرز علماء التفسير الذين نزحوا إلى مدينة الاسكندرية محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الامام أبو بكر العرى المعافرى الاندلسى ولد فى سنة 468هـ/ 1075 ورحل إلى بلاد الشام حيث نفقه على أبى بكر الطرطوشى وطائفة من العلماء والمحدثين وتوجه إلى بغداد فسمع من علمائه وعزم على الرحيل إلى الاسكندرية حيث درس واستفاد من علمائها ومن مصنفاته "التفسير وأحكام القرآن" وشرح " الموطأ " " وشرح الترمذى". [4]

ومن علماء بلاد المغرب الذين نزحوا إلى الاسكندرية محمد بن عمر بن يوسف الأمام أبو عبد الله المالكى درس بالاسكندرية على ابن موقا. [5]

4-الفقـــه:

ازدهرت الحركة العلمية فى مصر على أثر تعدد المذاهب الفقهية واشتد النزاع بين المدارس الفقهيه فى العصر الأخشيدى حيث انقسم المصريون بين فقه المالكية والشافعية، مما أدى إلى وقوع مناقشات بينهم فى بعض الأحيان. [6]

واتخذ الفقهاء موقفا معاديا عندما علموا بوصول الفاطميين بجيوشهم إلى الاسكندرية ويحدثنا المقدسى[7]، أن الامام الطحاوى أخذ يحث المصريين على التصدى للفاطميين ومنعهم من دخول مصر حيث وقف حنيذاك يخطب فى المصريين قائلا لهم "

([1])القرآن الكريم نزل بلغة العرب وأساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يضمونه ويتعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا وآيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع. انظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 366.

([2])ياقوت:معجم الأدباء،جـ12 ، ص 221، وابن خلكان : وفيات اعيان جـ3، ص 301.
-السيوطى: بغية الوعاة، ص 325، وحاجى خليفة: كشف الظنون، جـ1، ص 46.

([3])ياقوت: معجم الأدباء، جـ 12، ص 221.

([4])السيوطى: طبقات المفسرين، راجع النسخة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 90-91.

([5])السيوطى: طبقات المفسرين، ص 101.

([6])ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ1، ص 173.

([7])احسن التقاسيم، ص 234.

أيها الناس اخرجوا إلى هؤلاء القوم فانهم خوارج وجهادكم عليكم واجب لأنهم يغيرون السنة ويفرقون الدعوة ويضلوا الأمة فخرج الناس إليهم صفا واحدا فهزموهم".

أ- فقهاء المالكية:

ومن أبرز فقهاء المالكية بالدلتا أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن على الميورقى المتوفى سنة 523هـ/ 1128م الذى اتخذ الاسكندرية موطنا له وصنف تعليقاته فى الخلاف بين الفقهاء ، وهو أحد الذين روى عنهم الحافظ السلفى. [1]

ومن أشهر الفقهاء تقى الدين مظفر بن عبد الله بن على المصرى ولقب بالمقترح لأنه كان بحفظه ، وهو كتاب فى الجدل وله مصنفات فى الفقه والأصول والخلاف تتلمذ عليه كثيرون من الطلاب بالقاهرة والاسكندرية وكان مولده سنة 526هـ/ 1131م. [2]

كما وفد على الاسكندرية أبو بكر الطرطوشى محمد بن الوليد الأندلسى ونزل بالاسكندرية بعد أن طاف العالم الاسلامى، يقول ابن فرحون[3] عنه "أماما عالما عاملا زهدا" واتصل بالوزير المأمون البطائحى ، وصنف له الطرطوشى "كتاب سراج الملوك" وكان الطرطوشى يشرح فى علقته المدونة الكبرى سنة 525هـ/ 1130م[4]

ونذكر من تلامذة الطرطوشى سند بن عنان بن ابراهيم الأزدى المتوفى سنة 540هـ/ 1145م حيث ناب عن أستاذه فى دروسه فى الحلقة بعده، وكان سند بن عنان من العلماء الزاهدين، ومن مصنفاته كتاب فى الفقه سماه الطراز شرح به المدونة الكبرى فى نحو ثلاثين سفرا. [5]

وكذلك نذكر من تلامذة الطاهر بن عوف العالم الفقيه أبو الحسن الابيارى على بن اسماعيل (557هـ/ 1161م = 618هـ/ 1221م) أحد أئمة الاسلام المشهورين فى الفقه والأصول والكلام[6] ، ومن مصنفاته " شرح البرهان لأبى المعالى الحوينى" وكتاب " سفينة النجاة على طريق الأحياء". [7]

([1])اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ3، ص 230. والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 228.
- محمد على عتاقى: الحياة العلمية بمصر فى عهد الفاطميين الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر 1983م، ص 99.

([2])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 230.

([3])الديباج المذهب، ص 276.

([4])ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ4، ص 62 والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 257.
- محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية فى مصر، ص 42.

([5])ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 126، والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 257.

([6])ياقوت : معجم البلدان جـ1، ص 85، والذهبى: المشتبه، جـ1، ص 9.
- السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 258- 259.

([7])ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 213.

وبرز فى علم الفقه ابن شاش العلامة جلال الدين أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامى أفنى حياته مجاهدا فى سبيل الله وتوفى بدمياط سنة 616هـ/ 1219م أثناء حصار الفرنج لها ومن مؤلفاته " الجواهر الثمينة فى المذهب".[1]

ونذكر كذلك الحسن بن عتيق بن رشيق جمال الدين أبو على الربعى (547هـ/ 1152م= 632هـ/ 1235م) يقول ابن فرحون[2] عنه "كان من العلماء الورعين وشيخ المالكية فى وقته وعليه مدار الفتيا بالديار المصرية".

ب- فقهاء الشافعية:

ومن أشهر فقهاء الشافعية بالاقليم أبو الحجاج يوسف بن عبد الهزيز بن على اللخمى الميورقى المتوفى سنة 230هـ/ 1128م كان عالما بارعا متمكنا فى علم الفقه تتلمذ على الكياء الهرائسى ببغداد واستوطن بالاسكندرية وروى عنه السلفى وصنف تعليقاته فى الخلاف. (3)

ونذكر أبا القاسم هبة الله بن معد بن عبد الكريم القرشى الدمياطى المعروف بابن البورى أصله من بلدة بورة قرب دمياط توفى سنة 599هـ/ 1202م. (4)

ج- فقهاء الحنفية:

برز من فقهاء الحنفية عبد المعطى بن مسافر بن يوسف بن الحجاج أبو محمد الرشيدى من أصحاب الفقيه أبى بكر محمد بن ابراهيم الرازى نزيل الاسكندرية. (5)

ثانيا: الدراسات الأدبية:

ازدهرت الدراسات الأدبية فى الدلتا فى العصر الفاطمى، ونشط الشعر وحاز مكانة أعظم من النثر، وبرز فى الاقليم شعراء موهوبون أضافوا الكثير إلى المكتبة الأدبية فى مصر آنذاك فى كافة فنون الشعر، وتفوقت مدينة الاسكندرية فى هذا المجال بالمقارنة بمدن الدلتا الأخرى، وسوف نلتزم بالترتيب الزمنى فى دراستنا عن الشعراء.

1-ابن وكيع التنيسى:

ولد ابو محمد الحسن بن على بن أحمد بن خلف بن حيان بن صادفة بن زياد الضبى المعروف بابن وكيع التنيسى بمدينة تنيس[6]، وأصله من بغداد[7]، ولقب وكيع يطلق على جده أبى بكر محمد بن خلف الذى شغل منصب نائب فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى وامتدح

([1])السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 258.
([2])الديباج المذهب، ص 105.
([3])السيوطى: المصدر السابق، ص 228.
([4])نفسه، ص 229.
([5])نفسه، ص 264.
([6])ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص 104، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، جـ3، ص 248.
(7)ابن خلكان: المصدر السابق، ص 104.

ابن خلكان[1]، وكيع بقوله " كان فاضلا نبيلا فصيحا من أهل القرآن والفقه والنحو والسير" ومن مصنفاته العلمية كتاب "الطريق" وكتاب " الشريف" و "عددای القرآن " والاختلاف فيه "والرومی والنضال" "والموازين والمكاييل"وله شعر جيد توفى سنة 306هـ/ 918م. [2]

أما شاعرنا ابن وكيع فامتدحه الثعالبى[3] بقوله "شاعر بارع وعالم جامع قد برع فى إبانة على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد فى أوانه وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام".

وأمتاز ابن وكيع بشعره الجيد[4] ، فوصفه الدكتور حسين نصار[5] " جامع شعره بقوله " شاعر الزهر والخمر" ويعد ابن وكيع من شعراء الرقة والسهولة، ولعل دوافع الرقة فى شعره ترجع إلى طبيعة البيئة التى عاش فيها فى بقعة زراعية يقول المسعودى[6] عنها " تنيس كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع ، وكانت فيها مجار على ارتفاع من الأرض ولم يجد الناس بلدا أحسن من هذه الأرض".

وتذكر الدكتورة نعمات احمد فؤاد[7] ان ابن وكيع لم ير فى دنيا الطبيعة إلا زهر الربيع حيث غلب على شعره.

ومن مصنفات ابن وكيع الأدبية ديوان شعر جيد، وكتاب يبين فيه سرقات أبى الطيب المقتنبى سماه " المنصف"[8] وكانت وفاته بتنيس سنة 393هـ/ 1003م. [9]

([1])وفيات الأعيان ، جـ2، ص 107.

([2])ابن خلكان : المصدر السابق، ص 107.

- محمد عبد الغنى حسن: مصر الشاعرة فى العصر الفاطمى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ص 136- 137.

([3])يتمة الدهر: الجزء الأول، الطبعة الثانية، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص 356.

([4])حاجى خليفة : كشف الظنون، جـ1، ص 769.

([5])ابن وكيع التنيسى: ديوان ابن وكيع، تحقيق وجمع حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ص 14.

([6])مروج الذهب، جـ1، ص 348.

([7])النيل فى الأدب المصرى، دار المعارف، القاهرة 1962م، ص 161.

([8])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ2، ص 104.

- صلاح الدين حسن على: مدارس الشعر فى مصر فى العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر 197م، ص 191.

([9])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ2، ص 106.

- بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، الجزء الثانى، الطبعة الثالثة، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ص 103.

ومن شعره:

رسالة من كلف عميـــد حياته فى قبضة الســـدود
بلغة الشوق مدى الجهـــود ما فوق ما يلقاه من مزيـــد[1]

ومن قوله فى فصل الخريف:

حتى إذا زال الخريـــف فصل بكل سوءة معـــروف
أهوية تسرع فى كل الجسد وهو كطبع الموت يبا وبـرد [2]

ومن قوله فى فصل الشتاء:

حتى إذا ما أقبل الشتـــاء جاءتك منه غمة غمـــاء
أقبل منه أسد مزيـــر له وعيد ولـه تحذيـــر [3]

وقوله فى فصل الربيع:

جاء إلينا زمن الربيـــع فجاء فصل حسن الجميـــع [4]

وقال ابن وكيع التنيسى فى المنصف:

غدير يدرج أمواجـــه هيوب الشمال ومر الصبـــا
إذا الشمس من فوقه أشرقـت توهمته جوشنـا مذهبـا [5]

قال الثعالبى فى يتمة اليتمة ، أنشدنى الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن ايده الله تعالى قال انشدنى أبو الحسن محمد بن الحسن العثمانى، قال انشدنى القاضى البغدادى لابن وكيع التنيسى ، وهو أحسن ما قيل فى مدح السفر:

([1])الثعالبى : يتمة الدهر، الجزء الأول، ص 356- 357.

([2]) يخشى على الأجسام من آفاته فأرضه قد عاء من نباته
لا يمكن الناس اتقاء شـــره من اختلاف برده وحـرة
- الثعالبى: يتمة الدهر، جـ1، ص 364- 365.

([3]) يأتيك فى ابانه ريـــــاح ليس على لاعنها جنـــاح
حراكها ليس الى سكـــون تضر بالأسماع والعيـــون
- الثعالبى: تيمة الدهر: جـ1، ص 365.

([4]) لبردة وحره مقـــــدار لم يكتنف حدهما الإكثـار
نهاره من أحسن النهار فى غاية الإشراق والاسفار
تضحك فيه الشمس من غير مجب كأنها فى الأفق حام من ذهب
الثعالبى: يتمة الدهر، جـ1، ص 366.

([5])ابن الصلت: الرسالة المصرية، المجموعة الأولى، الطبعة الأولى، تحقيق عبد السلام هارون نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1951م، ص 53- 54.

تغرب على اسم الله والتمس الغنى وسافر ففى الأسفار خمس فوائد [1]

ومن شعر ابن وكيع فى الرجاء والعتاب:

أرجى دنو الوصل من بعد يعده كما قد ترجى فالجدوب السحائب[2]

2-ابن القليوبى الكاتب:

على بن محمد بن أحمد بن حبيب القليوبى آصله من قليوب، كان يكتب فى ديوان الدولة الفاطمية عاصر العزيز بالله (365هـ - 386هـ = 975- 996م) وشهد أيا الحاكم وفترة قصيرة من عصر الظافر. [3]

وكان ابن القليوبى كاتبا مترسلا يجيد التشبيهات وينتزع صورة الشعرية من الطبيعة من النجوم تقليدا لعبد الله بن المعتز ومن أغراض شعره الخمر والغزل والمجون.

ومن شعره يصف الخمر ثم يستطرد فى وصف النجوم:

وصافية بات الظلام يديرها على الشرب فى جنح من الليل ادعج

كان جباب الماء فى وجناتها فرائد در فى عقيق مـــدرج [4]

3-ابن قادوس:

هو أبو الفتح محمود بن اسماعيل الفهرى المعروف بابن قادوس كان بارعا فى النثر والنظم متين الشعر يقول العماد الأصفهانى[5] " له أشعار محكمة النسيج كالدر فى الدرج" وكان يعرف بذى البلاغتين الشعر والنثر، وله ديوان شعر يقع فى مجلدين[6]، ومما يدل على كفاءته الأدبية أنه شغل وظيفة كاتب الإنشاء بمصر فى العصر الفاطمى وتوفى سنة 551هـ/ 1156م. [7]

([1]) تفرج نفس والتماس معيشة وعلم وآداب ورفقة ماجد

فان قيل فى الأسفار ذل وغربةوتشتيت شمل وارتكاب شدائد

فللموت خير للغنى من مقامه بدار هوان بين ضد وحاسد

انظر ديوان ابن وكيع ، ص 43.

- الثعالبى: تتمة يتمة الدهر فى محاسن أهل العصر، الطبعة الأولى، شرح وتحقيق مفيد محمد قيمحة، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م، ص 40.

([2]) وأكثر فى الهجر العتاب كأننى لدهرى من ظلم الكرام أعاتب

وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضا وقد تمتع الآمال وهى كواذب

انظر ديوان ابن وكيع ، ص 38.

([3])عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى، الجزء الثالث، دار العلم للملايي، بيروت، ص 68.

([4])الزركلى : الاعلام، جـ5، ص 145.

- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى، جـ3، ص 68.

(5)فريدة القصر، جـ1، ص 226.

([6])الزركلى: الاعلام، جـ8، ص 41.

([7])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 226، والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 324. =

ومن شعره فى رجل وكان أسود البشرة:

يا شبه لقمان بلا حكمـــة وخاسرا فى العلم لا راسخـــا

سلخت أشعار الورى كلهـم فصرت تدعى الأسود السالخا [1]

ومن شعره فى طبيب:

عليلـــه منه علـــى حالى خســار يحصــل

تؤخذ منــه ديـــة وبعد هذا يقتـــل [2]

وله قصيدة فى وصف الخمر:

قم قبل تأدين النواقيـــس واجل علينا نبت قسيـــس[3]

ومن شعره فى الهجو:

إذا قال لا يعدو كلام ابن فاعل على أن محض الجهل حشو دماغه[4]

ومن شعره فى جارية سوداء:

وعاذل محتفـــل مجتهـــد فى عذلـــى [5]

وله فى المطرب:

وكلما دام نطقا فى معاتبتـــى سددت فاه بنظم اللثم والقبـل [6]

4-على بن عياد الاسكندرى:

على بن عياد الاسكندرى ويعرف بابن القيم شاعر من أهل الاسكندرية كان أبوه قيم جامعها اشتهر فى عصر "الآمر" الفاطمى ثم كان شاعر الوزير أحمد بن الأفضل الجمالى فى أيام الحافظ ولما قتل الحافظ وزير الجمالى أمر باحضار ابن القيم ، واستنشده قصيدة له

= - شوقى ضيف : عصر الدول والامارات، ص 338.

([1])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 226.

([2])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 226.

([3]) عروس دن لم يدع عتقها الا شعاعا غير ملموس

تجلى علينا باسما ثغرها فلا تقابلها بتعبيـــى

انظر العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 227.

([4]) وليس كلاما ما يقول وانما يجيب الصدا من رأسع من فراغه

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 232.

([5]) يلومنى فى ظبيـــــة ملخوقة من كحل

ان السواد علة من نور هدى المقل

والحجر الأسود لم يخلق لغير القبل

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 232.

([6]) وبات بدر الحسن معتنقى والشمس فى فلك الكاسات لم تفل

الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، جـ6، ص 596.

فى ذم الخلفاء المصريين، وتصحيح معتقداتهم وأشار إلى غلمانه فانهالوا عليه بالضرب حتى مات. [1]

ومطلع القصيدة التى كانت سبب مقتله:

تبسم الدهر لكى بعد تعبيـــس وقوض اليأس لكن بعد تعريس

وابتهج القاضى ابن ميسر من هذا البيت، فكان ذلك سببا لصرف ابن ميسر عن القضاء وقتله. [2]

وفى ذات مرة حضر ابن عياد فى احد البساتين ومعه غلام جميل الوجه فتساقط عليه من ثمرها فقال:

ودوحة كالسماء نادمنى من تحتها بدرها على حذر [3]

5- طافر الحداد:

هو أبو منصور بن عبد الله بن خلف الجذامى الاسكندرى المعروف بالحداد اشتغل بالأدب ونظم الشعر وروى له الكثير من العلماء ومنهم العالم الجليل الحافظ السلفى، وتوفى طافر الحداد بمصر فى المحرم سنة 529هـ/ 1134- 1135م. [4]

ومن شعره:

حكم العيون على القلوب يجـوز ودواوءها من دائهن عزيز [5]

ومن شعره الذى أرسله إلى أبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى بعد أن ترك مصر إلى المهدية يتشوق إليه:

([1]) الزركلى : الاعلام، جـ5، ص 133.

([2]) هذا سليمانكم قد رد خاتمه واسترجع الملك من صخر بن ابليس

ابن ميسر: أخبار مصر، جـ2، ص 127- 128.

([3]) فأنشأت بالنجوم ترجمة وذاك من غيرة على القمـــــر

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 43- 44.

([4]) ياقوت : ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، مطبعة هندية، القاهرة، 1927م، ص 278.

- ياقوت: معجم الأدباء، جـ2، ص 27، وابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص 540.
- السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 324.
- بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ5، ص 63.
- صلاح الدين حسن على: مدارس الشعر فى مصر فى العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية ، القاهرة، جامعة الأزهر 1977م، ص 344- 345.

([5]) كم نظرة نالت بطرف ذابل ما لا ينال الزابل المهزوز

فحذار من تلك اللواحظ غيرة فالسحر بين جفونها مكنوز

انظر ياقوت : ارشاد الأديب، جـ4، ص 278.

ياقوت : معجم الأدباء، جـ3، ص 28- 29.

ألا هل لدائى من فراقك افراق هو السم لكن فى لقائك درياق[1]
فياشمس فضل غربت ولضوئها على كل قطر بالمشارق اشراق[2]

ويذكر عن القاضى أبى عبد الله محمد بن الحسين الأمدى النائب كان فى الحكم بثغر الاسكندرية بأنه دخل على الأمير السعيد بن ظافر أيام ولايته الثغر فوجده يقظر دهنا على خنصره فسالته عن سبه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه فقلت له الرأى قطع حلقته وانشد بديها:

قصر عن أوصافك العالم وأكثر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة وكانت من ذهب وكان بين يدى الأمير غزال مستأنس وقد ربض وجعل رأسه فى حجرة فقال ظافر بديها:

عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تخطى له وأعتمد[3]

فأمر له بعطاء آخر.

ومن شعر ظافر يصف الهرمين بمصر قوله:

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب [4]

وذات مرة خرج إلى قليوب صحبة الشيخ غذى المالك أبى البركات محمد بن محمد بن صالح بن عثمان فى جماعة متنزهين فنظر الجماعة إلى الجلنار[5]، فى أشجار فسأله من حضر أن يشبه هذا فقال بديهة:

([1])الدرياق : الدواء الناجع كالترياق.
ديوان ظافر، تحقيق د/ حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة 1969م، ص 26، هامش (10)

([2]) سقى العهد عهدا منك عمر عهده بقلبى، عهد لا يشيع وميثاق
يجدده ذكر يطيب كما شدت وريقاء كنتها من الأيك أوراق
- ديوان ظافر الحداد، ص 226- 227، ياقوت: ارشاد الأريب، جـ4، ص 278.
- ياقوت : معجم الأدباء، جـ12 ، ص 29- 30.
- ابن أبى اصيبعة : عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص 504.

([3]) وأعجب به إذ بدا جاتما فكيف اطمأن وأنت الأسد
العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 15، وابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ4، ص 91.
شوقى ضيف: عصر الدول والامارات، ص 252.

(4) كعمار يتين على رحيل لمحبوبين بينهما رقيب
وماء النيل تحتهما دموع وصوت الريح عندهما نحيب
- ديوان ظافر الحداد، ص 4.
- العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 7.

([5])الجلنار زهر رمان برى قد يكون احمر وقد يكون ابيض وقد يكون موردا.
ديوان ظافر الحداد، ص 12 هامش (7).

لله أيامى بقليـــــوب والعيش مخضر الجلابيب[1]

ويجمع المؤرخون على أن شعر ظافر الحداد جمع فى ديوان كبير ولكن هذا الديوان فقد ولم يبق من شعره إلا أبيات من قصائد من قوله:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ماسح وابل دمعه ورذاذه [2]

وطمع ظافر إلى لقاء الأفضل بن بدر الجمالى وزير الفاطميين وكان قد حجر على الخليفة الآمر وأصبح له الملك والسلطان كله فاتخذ الأسباب إلى لقائه ولم يكد يستمع منه إلى مديحه حتى أكبره وقدمه على أقرانه وسكن ظافر بجواره فى الفسطاط، وأخذ يدبج فى مدائح طنانة وهو يغدق عليه من نواله مع راتب قدره له وإلى ذلك يشير قائلا:

وهذا الجناب الأفضلى يكننـــى ذرى ظله إلى اذن لسعيد

وقدر لهذه السعادة ان ينحسر ظلها عن ظافر إذ دبر الخليفة الآمر للأفضل من قتله سنة 515هـ/ 1121م وولى الوزارة بعد الأفضل المأمون البطائحى ولظافر فيه قصيدتان يشكو فيهما من عوزه وضيق حاله ومع ذلك يشكره على الأموال التى منحها له.[3]

ولظاهر الحداد فى الزهد والحكمة:

أوصيك بالبعد عن النـــاس فالعز فى الوحـدة واليـــاس[4]

ومن شعر ظافر الحداد إلى الحافظ السلفى:

وليلة جاد بها العمـــر ونام عن خلسنـــها الدهـــر

والورد فوق الماء ما بيننا قد نثرت أوراقه الحـــــر[5]

([1]) والطير فى الأغصان فتانة ما بين تلحين وتطريب

والشمس فى المغرب مصفرة كعاشق من بعد محبوب

([2]) وما زال جيش الحب يغزو قلبه حتى وهى وتقطعت افلاذه

لم يبق فيه مع الغرام بقية الا رسيس يحتويه جذاذه

من كان يرغب فى السلامة فليكن ابدا من الحدق المراض عياذه

- ياقوت : معجم الأدباء، جـ 12، ص 31- 32.
- ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ4، ص 91.
- محمد كامل حسين: فى أدب مصر الفاطمية، ص 226.
- محمود مصطفى: الأدب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى إلى نهاية العصر الايوبى. المؤسسة المصرية العامة، القاهرة 1967م، ص 230.

([3])شوقى ضيف: عصر الدول والامارات، ص 252- 253

([4]) ووحده الصمصام فى عضده حصته بالعزة فى الباس

وقوله:

هى الدنيا فلا يحزنك منها ولا من أهلها سفه وعاب

اتطلب جيفة لتنال منها وتنكر ان تهارشك الكلاب

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 7-8.

([5])السلفى: معجم السلفى المعروف بمعجم السفر، الجزء الثانى (مخطوط مصور) ورقة 87.

6-رضى الدولة أبو سليمـــان

داود بن مقدم بن ظفر المحلـــى

من مدينة المحلة الكبرى عالى الهمة وسريع البديهة فى نظم الشعر وتفوق على معاصريه ويقول العماد الأصفهانى عنه " شاعر ملء فكيبه توفى فى عصرنا".

ومن شعره :

لئن لذ لى طول المقام ببلـــدة لذى ملك يثنى عليه المهاجر[1]

ومن شعره فى الهجو:

من كان ذا نحلة يعجلهـــا فالشعر حظى من سائر النحـــل[2]

ومن شعره إلى ابن كازوك ولى المشارفة بالغربية الذى عزله عن عمله:

أيها المخلص المكين ومن كفاه فى كل ازمـــة يكفـــان [3]

7-ابن مكنسة الاسكندرانى :

عاش القائد أبو الطاهر اسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة[4]، فى زمن ولاية أمير الجيوش بدر الجمالى منقطعا إلى عامل من النصارى يعرف بأبى مليج، ونظم فيه أغلب مدائحه وعند وفاته رثاه بعدة قصائد جيدة منها:

طويت سمـــاء المكرمـــا ت وكورت شمس المديـــح [5]

وكانت هذه القصيدة سببا فى نقمة الأفضل بن بدر الجمالى على شاعرنا الذى حاول أن يتقرب من الأفضل فامتدحه بقصيدة منها: [6]

مثلى بمصر وأن ملـــك يقال ذا شاعـــر فقيـــر [7]

([1]) ففى الناس من يقضى من الحج فريضة وآخر من طيب المقام يجاوز

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 45- 46.

([2]) أن لم ينلنى حظا بحرفته فكم شفى غلتى من السفل

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 48.

([3]) بان عفا أهل المحبة واعتضنا بأهل البغضان والشنان

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 49.

([4])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 203.

- الصفدى: الوافى بالوافيات، جـ9، ط2، باعتناء يوسف خان اس، ص 213.

([5]) ماذا ارجى فى حيـــا تى بعد موت أبى مليج

ما كان بالنكس الدنسى من الرجال ولا الشحيح

كفر النصارى بعدما عقدوا به دين المسيح

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 205.

([6])العماد الاصفهانى: المصدر السابق والصفحة.

([7]) عطاوك الشمس ليس تخفى وانما حظى الضرير

ومن شعر ابن مكنسة فى الحديقة:

اعاذل ماهبت رياح ملامة بنار هوى إلا وزادت تصدما [1]

وكتب إلى أبى الصلت حين عاد إلى المهدية:

وما طائر قص الزمان جناحه وأعدمه وكرا وأفقده الفا [2]

ومن شعره فى المدح:

ولم ير كالمدائح فيه تسرى خفافا تحمل المنن اثقالا[3]

8-رجل سنبسى من البحيرة:

وبرع فى الشعر رجل من قبيلة سنبس التى استقرت بالبحيرة ومن شعره:

أقول لحراثى براق تنحيا عن الدار لا يخفى على رسومها

أيا دار من لو تشترى منه نظرة شرينا وغالينا على من يسومها [4]

9-الشريف أبو الحسن الحسنى الاسكندرانى:

يقول العماد الأصفهانى " انشدنى الفقيه أبو بكر بن أبى القاسم بن خلف التميمى الاسكندرانى بمكة حرسها الله تعالى، حذاء الكعبة المعظمة فى أواخر ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة للشريف إلى الحسن الحسنى الاسكندرانى".

فانى شبه ظمآن ببيد رأى الأنعام ظن بها شرابا

فبدد ماءه وأتى إليها فلما جاءها وجد السرابا [5]

10- تقية الصورية:

هى الأديبة أم على تقية بن أبى الفرج غيث بن على بن عبد السلام بن محمد بن جعفر السلمى الامنازى الصورى ولدت بمدينة صور فى صفر سنة 505هـ/ 1111م[6]،

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 203.

([1]) فكانى إلى عين اذا جف ماوءها رات من حقوق الحب ان يذرف الدما

الصفدى : الوافى بالوافيات، جـ9، ص 214.

([2]) تذكر فرخا بين أفنان بانة خوافى الخوافى ما يطرن به ضعفا

اذا التحف الظلماء ناجى همومه بترجيع نوح كاد من دقة يخفى

بأشفق منى مذ أطاعت بك النوى هوائية مائية تسبق الطرفا

تولت وفيها منك ما لو أقية بما هى فيه كان فى فضله اوفى

العماد الاصفهانى، فريدة القصر، جـ2، ص 215.

([3]) وتنشده مدائحه اقتضابا فيعصينا منائحه ارتجالا

العماد الاصفهانى، فريدة القصر، جـ2، ص 213.

([4])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2 ، ص 133.

([5])نفسه، ص 202.

([6])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ1، ص 297.

وهى من أهل الاسكندرية[1]، يقول ابن خلكان[2] عنها " كانت فاضلة ولها شعر جيد وقصائد ومقاطيع صحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى".

ومن شعر تقية قولها:

خان أخلائى وما خنتهم وأبرزوا للشر وجها صفيق[3]

وكتب إليها بعض الأفاصل، وقد مدحت نفسها:

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ولكن أفعالا تذم وتمدح[4]

11-ابن قلاقس:

ولد أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد القوى بن قلاقس اللخمى الأزهرى الاسكندرى الملقب بالقاضى الأعز[5]، بالاسكندرية سنة 532هـ/ 1137م وتتلمذ على الحافظ السلفى وأفاد من علمه حتى امتدحه وأثنى عليه وكان ابن قلاقس شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا[6] ، وبسبب الاضطرابات التى سادت مصر فى أواخر العصر الفاطمى رحل إلى بلاد اليمن ومنها إلى صقلية[7]، ومكث بها فترة وامتدح قائدها أبا القاسم بن الحجر

([1])الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 121.

([2])وفيات الأعيان، جـ1، ص 297.

([3]) وكذر الود القديم الذى قد كان قدما صافيا كالرحيق
وباعدونى بعد قربى لهم وحملوا قلبى ما لا اطيق
العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 222.

([4]) وما كل حين يصدق المرء قلبه ولا كل أصحاب التجارة تربح
ولا كل من ترجو لغيبك حافظ ولا كل من ضم الوديعة يصلح
العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ2، ص 223.

([5])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 145، وابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ5، ص 285.

- السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص 325.
- الزركلى : الاعلام، جـ2، الطبعة الثانية، القاهرة 1956م، ص 344.
- محمد زغلول سلام: الأدب فى العصر الأيوبى، ص 326.
- عبد العليم القبانى: شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 95.
- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى، جـ3، ص 342.
- عبد الهادى عبد الله اسماعيل: ابن قلاقس حياته وشعره، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، 1979م، ص 67.

([6])ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ5، ص 385.

- عبد العزيز ناصر المانع: ابن قلاقس ورسائله، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الخامس، 1978م، ص 270.

([7])بروكلمان : تاريخ الأدب العربى، الجزء الخامس، ص 64.

وصنف له كتابا سماه " الزهر الباسم فى أوصاف أبى القاسم"[1]، والشاعر كمان كثير السفر والارتحال لأنه كان يرحل إلى الممدوحين بقصد الكسب فامتدح بعدن أبا الفرج ياسر بن أبى الندى فأجزل له العطاء وأكرم وفادته، وعندما رحل بالمركب غرق بمن فيه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك ونجا من الموت فعاد إلى صاحبه أبى الندى فى حالة يرثى لها وامتدحه بقصيدة يصف فيها ما حدث له .

صدورنا وقد نادى السماع بنا ردوا فعدنا إلى مغناك والعود أحمد[2]

وهذه القصيدة من القصائد المختارة له ولم يكن فيها سوى هذا لكفاه ثم انشده قصيدة أخرى يصف فيها غرقه وأولها:

سافر إذا حاولت قـــدرا سار الهلال فصـــار بدرا[3]

وعند عودته إلى مصر بطريق البحر توفى فى مدينة عيذاب سنة 567هـم 1171م[4]، وعندما فارق صقلية راجعا إلى مصر وكان ذلك وقت الشتاء ردته الريح إلى صقلية فكتب إلى أبى القاسم المذكور:

منع الشتـــاء من الوصـــو ل مع الرسول إلى ديـــارى[5]

كما أجاد ابن قلاقس كتابة النثر فيصف المركب وأهله: "ثم ان البحر تخبطه شيطان الموج من مس الريح ، فلو رأيته وقد شاب فى عنفوان شبابه فروع الأطواد بأصول هضابه والحنية[6]، تدوى أهلها كالخلية بنحلها ، ونحن نصلى لمؤنس يونس وعلى لوح نوح لاسترشدت رأى من أثر الجبل فى العصمة وما لحقت بأبيه – لولا وحى الله عز وجل – ولقلت الصخر يقى أبى حضر، هى غنى لمجنوبته[7]، عليه إلا المنية؟ ولم يزل يدنو كالمجنون ندارية من الجنون حتى كسته الرخاء ثوب وقارها وامسكت الزعزع عنه كاس عقارها فصح وصحا بعد جنونه وسكره، ونطق منا بلسان المجاز[8]، بالحقيقة بعد المجاز فوصلنا طرف

([1])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ5، ص 388، وبروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ5، ص 64.
- محمد كامل حسين: فى أدب مصر الفاطمية، ص 259.

([2])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ5، ص 386.

([3]) والماء تكسب ماجرى طيبا ويخبث ما استقرا
ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ5، ص 387.

([4])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 145.

([5])ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ5، ص 388.

([6])الحنية : المركب لانحناء شكلها وتقوسها وفى الأصل الحلية.

([7])المجنونة: يريد بها السفينة.

([8])المجاز: يعنى به المضيق الواقع بين صقلية والبر الايطالى.

الجزيرة بمسين[1]، غرة سنة ثلاث وستين وخمسمائة". [2]

ومن شعره فى الزهر الباسم قصيدة مطلعها:

رافقها مطرب الأغاريـــد فاسترقت هزة الأماليـد[3]

ودب خمر السرى بأذرعهـا فهى على البيد فى عرابيد[4]

وقال فى قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقصده أيام وفوده:

سفرت عنك أوجه الأسفـــار وجرت بالمنى إليك الجـوارى[5]

وفى شعره فى وصف بركة:

بركة بوركت فنحن لذيهـا نستفيد الغمار[6]، فى ضحضـاح

قطرت من قرارها بعيـون غادرتنا بأسرع الالتمـــاح [7]

ومن شعره فى وصف مغن:

لا أشرب الـــراح إلا ما بين شـاد وشـادن[8]

وهكذا نلمس أن الدلتا ساهمت بنصيب كبير فى ازدهار الحياة الأدبية فى العصر الفاطمى وما تركه علماوءها خير دليل على ذلك.

([1])مسينى: بلد بجزيرة صقلية فى ركنها الشرقى ولها مرسى كبير تجتمع إليه السفن الكبار والمسافرون والتجار. انظر العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، حواشى ص 151- 152.

([2])العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 151- 152.

([3])الأماليد: الأغصان الناعمة.

([4]) وغادرتها الصبا بمهلكة تفجر الماء فى الجلامد

تحمل عن روض عالج خبرا تسنده عن ظبائه الغيد

أجرى عليه السحاب دمع ثج ومزق البرق جيب معمود

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 152.

([5]) فرقنا لك الكواكب يا بدر الدياجى على الهلال السارى

وركبنا على عذاب بحار أنزلتنا على عذاب بحار

واعتساف الأخطار يحمل ما كان طريقا إلى ذوى الأخطار

ما امتطينا اخت السحائب الا لتوافى بنا اخا الأمطـــار

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1، ص 159.

([6])الغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير.

([7]) تسرق اللحظة اختلاسا وتمضى نظرة الصب خاف انكار لاح

قد صفت واعتلى الحباب عليها فهى سيان مع كؤوس الرياح

اى درع مصونة النسيج تمتد السواقى فيها بمثل الصفاح

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1 ، ص 161.

([8]) الشادن : الغزال إذا طلع قرناه

وان فنيت فعندى الى معاد معادن

ثم ياتديمى فانصبت والليل داج لداحن

العماد الاصفهانى: فريدة القصر، جـ1 ، ص 162.

الخاتمة

كانت الدلتا أهم اقاليم مصر، فلقد ساهمت بقسط وافر فى النشاط الاقتصادى لمصر فى العصر الفاطمى، وفى تنمية موارد بيت المال من الخراج والجزية والمكوس، حيث حصل خراجها نقدا، فأدى إلى ارتفاع زيادة الدخل للخزانة الفاطمية.

وانتشرت مراكز جباية المكوس فى الاسكندرية ودمياط والفرما وجنت الدولة الفاطمية أموالا طائلة من المكوس.

كما فرضت رقابتها على منافذ الدلتا الشرقية فى مدينة قطيا ، لتحصيل العشر من التجار النازحين من والى مصر وبلاد الشام.

ولم تغفل الدولة الفاطمية أهمية المدن الساحلية للأقاليم فانشأت ديوانا عرف بديوان الثغور فضلا عن تحصينها بالقوات الكافية للدفاع عنها من هجمات العدو.

وكانت الدلتا تزخر بالثروات النادرة كدهن البلسان ومعدن النطرون حيث فرضت رقابتها الشديدة عليهما ومنعت الأهالى من التصرف فيهما.

ومن دراستى لفصل الزراعة ثبت لى ان الدلتا تمثل أكبر رقعة زراعية على أرض مصر بسبب تكاتف عوامل عديدة نذكر منها خصوبة أراضها ووفرة مياة الرى من شبكة الأنهار والخلجان التى تلتف حولها فضلا عن المناخ الملائم للزراعة.

والقمح من أشهر المحاصيل الزراعية بالاقليم فكان يزرع بكثرة فى الحوف الشرقى ويصدر الفائض منه إلى بلاد الحجاز.

كما انتشرت زراعة قصب السكر بوفرة فى دمياط والدقهلية والمرتاحية لشدة الطلب على السكر والحلوى بسبب سياسة الحكومة الفاطمية فى الحفلات الكثيرة والترف الذى ساد الحياة الاجتماعية آنذاك.

ولم تقتصر شهرة الدلتا على النشاط الزراعى فحسب بل حققت تقدما هائلا فى النشاط الصناعى فازدهرت صناعة النسيج وصناعة السكر والعسل وصناعة الزجاج وصناعة الورق، وكانت صناعة النسيج من أهم تل الصناعات حيث انتشرت مراكزها بكثرة فى شرق الدلتا وانتجت كافة أنواع الملابس.

ومما يدل على الأهمية القصوى لصناعة المنسوجات امرين:

أولا: اتخذ الخلفاء الفاطميون من المنسوجات وسيلة للكتابة عليها دعاية لنشر مذهبهم الشيعى.

ثانيا: شدة الطلب على منسوجات الاقليم من قبل الملوك والأباطرة ومحاولتهم الحصول على كسوة السلطان.

ومن دراستى للنشاط التجارى وجدت ان الدلتا تتمتع بشبكة واسعة من الطرق التجارية الداخلية والخارجية، مما سهل حركة مرور التجار عبر الاقليم وظهرت مدن تجارية فى كافة انحاء الاقليم لمواكبة ذلك الازدهار ولتلبية حاجة التجار. ومن أبرزها الاسكندرية حيث كانت تهوى إليها ركائب التجار برا وبحرا من كافة البلاد، كما برزت دمياط وتنيس والفرما. ونلمس ذلك الازدهار الملحوظ الذى حققته تلك المدن فى مجال التجارة من خلال الاشارات الصريحة التى سجلها الرحالة فى العصر الفاطمى عن مدن الاقليم بعبارات تفوق الوصف.

ومن خلال دراستى للحياة الاجتماعية اتضح لى ان القبائل العربية من عدنانية وقحطانية نزحت إلى الدلتا عن طريق سيناء واستقروا بكثرة فى الحوف الشرقى فكان يشبه مستودها بشريا هائلا واشتغلت القبائل القيسية التى سكنت بلبيس بنقل التجارة من مصر إلى مدن القلزم.

كما توغلت الهجرات العربية إلى ثغور الدلتا فى دمياط والاسكندرية حيث رابط المسلمون للدفاع عن تلك الثغور من اعتداء الصليبين وفى اطار معالجتى للحياة الاجتماعية لعناصر السكان وجدت ان التقاليد والعادات التى استحدثها الفاطميون فى مصر واضحة المعالم حيث تميزت بالترف والبذخ التى اتسمت به طبيعة العصر الفاطمى من كثرة الاعياد والاحتفالات.

ويمكننى أن أقر بصراحة ان العصر الفاطمى يعتبر العصر الذهبى فى مصر الاسلامية وفى مجال الحياة الثقافية لم يقف أبناء الدلتا مكتوفى الأيدى إزاء ما يحدث من ازدهار للحركة الفكرية بالقاهرة، فساهموا فيها بتدريس العلوم الدينية كالفقه والقراءات والحديث والتفسير إلى جانب علم اللغة والنحو، وبرع منهم علماء بارزون كان عليهم مدار الفتوى فى البلاد وطبقت شهرتهم كافة أنحاء العالم الاسلامى حيث وفد عليهم طلاب العلم من شرق العالم الاسلامى وغربه للأخذ عنهم.

وكانت الاسكندرية من أكبر مراكز الاشعاع للثقافة الاسلامية فى العصر الفاطمى وشهدت هجرة العلماء النازحين من كافة أنحاء العالم الاسلامى.

وكانت الحياة الأدبية حافلة بالثراء وبرز شعراء من الاسكندرية ودمياط أجادوا فن الشعر والنثر، وحرص خلفاء الدولة الفاطمية على استمالتهم للعمل فى خدمتهم ومدحهم.